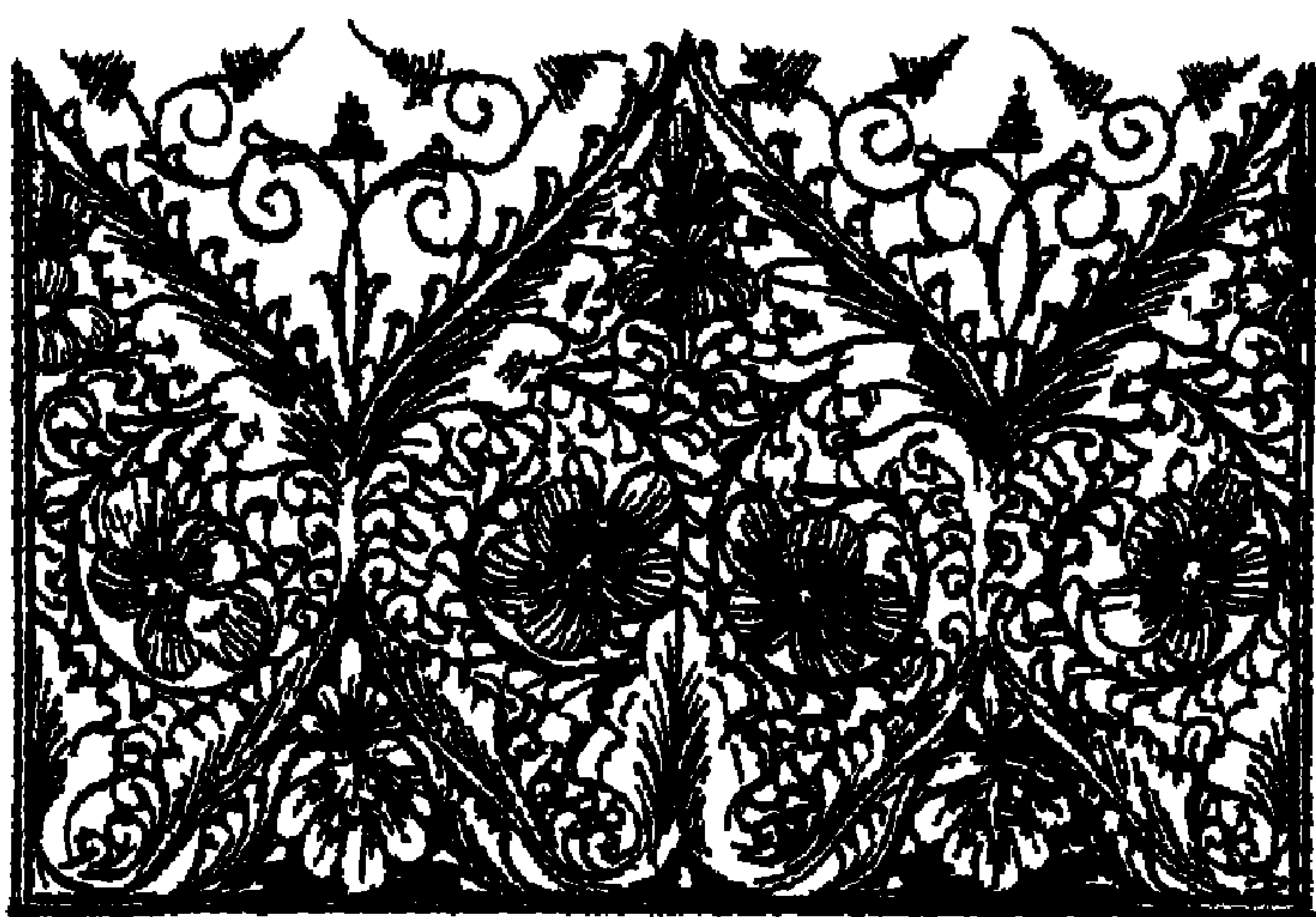
قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

[illegible] أبي عبد الله محمد بن أبي بكر [illegible] المعروف بابن القيم الجوزية

الجواب الكافي
لمن سأل عن
الدواء الشافي

باهتمام المولوي أبي عبد الودود محمد إدريس الآروي سلمه الله القوي

قد طبع في المطبع [illegible] الواقع في بلدة



بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ
الصالح ابي بكر عرف بابن القيم الجوزية رضي الله عنه ما تقول السادة العلما ائمة الدين ٢
رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت دنياه وآخرته وقد اجتهد
في دفعها عن نفسه بكل طريق فما يزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها
فرحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا ماجورين۔
فكتب الشيخ رضي الله عنه تحت السؤال الجواب الحمد لله اما بعد فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وفي صحيح مسلم
من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا
اصيب دواء الداء برا باذن الله وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله
من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله
ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم ادواء القلب والروح والبدن وادويتها
وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء فروى ابو داود في سننه
من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه

ثم احتلم فسأل اصحابه فقال هل تجدون لی رخصة فی التیمم قالوا ما نجد لک رخصة وانت تقدر علی الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اخبر بذلک فقال قتلوہ قتلہم اللہ الا سألوا اذ لم یعلموا فانما شفاء العی السؤال انما کان یکفیہ ان یتیمم ویعصر او یعصب علی جرحہ بخرقۃ ثم یمسح علیہا ویغسل سائر جسدہ فاخبر ان الجہل داء وان شفاءہ السؤال وقد اخبر سبحانہ عن القرآن انہ شفاء فقال اللہ تعالی ولو جعلناہ قرآنا اعجمیا لقالوا لولا فصلت آیاتہ أاعجمی وعربی قل ہو للذین آمنوا ہدی وشفاء وقال وننزل من القرآن ما ہو شفاء ورحمۃ للمؤمنین ومن ہہنا لبیان الجنس لا للتبعیض فان القرآن کلہ شفاء کما قال فی الآیۃ الاخری فہو شفاء القلوب من داء الجہل والشک والریب فلم ینزل اللہ سبحانہ من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع فی ازالۃ الداء من القرآن وقد ثبت فی الصحیحین من حدیث ابی سعید قال انطلق نفر من اصحاب النبی صلی اللہ علیہ وسلم فی سفرۃ سافروہا حتی نزلوا علی حی من احیاء العرب فاستضافوہم فابوا ان یضیفوہم فلدغ سید ذلک الحی فسعوا لہ بکل شئ لا ینفعہ شئ فقال بعضہم لو اتیتم ہؤلاء الرہط الذین نزلوا لعلہ ان یکون عند بعضہم شئ فاتوہم فقالوا یا ایہا الرہط ان سیدنا لدغ وسعینا لہ بکل شئ لا ینفعہ فہل عند احد منکم شئ فقال بعضہم نعم واللہ انی لارقی ولکن واللہ استضفناکم فلم تضیفونا فما انا براق حتی تجعلوا لنا جعلا فصالحوہم علی قطیع من الغنم فانطلق یتفل علیہ ویقرأ الحمد للہ رب العلمین فکانما نشط من عقال فانطلق یمشی وما بہ قلبۃ قال فاوفوہم جعلہم الذی صالحوہم علیہ فقال بعضہم اقتسموا فقال الذی رقی لا تفعل حتی نأتی النبی صلی اللہ علیہ وسلم فنذکر لہ الذی کان فننظر بما یأمرنا فقدموا علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فذکروا لہ ذلک فقال وما یدریک انہا رقیۃ ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لی معکم سہما فقد اثر ہذا الدواء فی ہذا الداء وازالہ حتی کان لم یکن وہو اسہل دواء وایسرہ ولو احسن العبد التداوی بالفاتحۃ لرأی لہا تاثیرا عجیبا فی الشفاء ومکثت بمکۃ مدۃ تعترینی ادواء ولا اجد طبیبا ولا دواء فکنت اعالج نفسی بالفاتحۃ فاری لہا تاثیرا عجیبا فکنت اصف ذلک لمن یشتکی المًا وکان کثیر منہم یبرأ سریعًا ولکن ہہنا امر ینبغی التفطن لہ وہو ان الاذکار

[illegible]

۳

والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول
المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول
المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية
فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره فإن الطبيعة
إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول
تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب
في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون
دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه
وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً وإما لحصول
المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو
وغلبتها عليها كما في صحيح الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم ٣
موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع مزيل
للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما
في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس
إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك وذكر عبد الله
ابن أحمد في كتاب الزهد لأبيه أصاب بني إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً فأوحى الله عز وجل
إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم
بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا
بعداً وقال أبو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح

والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض وله مع البلاء ثلاث مقامات أحدها أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه الثاني أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا الثالث أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينفع لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة وفيه أيضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء وفيه أيضا من حديث ثوبان
5 عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

فصل

ومن أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الملحين في الدعاء وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن قتادة قال قال مورق ما وجدت للمؤمن مثلا إلا رجل في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل أن ينجيه

فصل

ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا أو غرس غرسا فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ

بحالة، واو ذاك تركه واهمله وفي البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء وفي مسند احمد من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت لربي فلم يستجب لي ؛

فصل

واذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند الاذان وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلوة وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه الى الله تعالى وبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلوة على محمد عبده صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله والح عليه في المسئلة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا ولا سيما ان صادف الادعية التي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم فمنها ما في السنن وفي صحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سأل الله بالاسم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ لقد سألت الله باسمه الاعظم وفي السنن وصحيح ابي حاتم بن حبان ايضا من حديث انس ابن مالك انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال

والاکرام یا حی یا قیوم فقال النبی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم لقد دعا اللہ باسمہ العظیم الذی
اذا دعی بہ اجاب واذا سئل بہ اعطی واخرج المحدثین احمد فی مسندہ وفی جامع الترمذی
من حدیث اسماء بنت یزید ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال اسم اللہ الاعظم فی
ہاتین الآیتین والٰھکم الٰہ واحد لا الٰہ الا ہو الرحمٰن الرحیم وفاتحۃ آل عمران الم اللہ لا الٰہ
الا ہو الحی القیوم قال الترمذی ہذا حدیث حسن صحیح وفی مسند احمد وصحیح الحاکم من حدیث
ابی ہریرۃ وانس بن مالک وربیعۃ بن عامر عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ قال الظوا
بیا ذا الجلال والاکرام یعنی تعلقوا بہا والزموہا وداوموا علیہا وفی جامع الترمذی من حدیث
ابی ہریرۃ ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان اذا اہمہ الامر رفع رأسہ الی السماء واذا
اجتہد فی الدعاء قال یا حی یا قیوم وفیہ ایضا من حدیث انس بن مالک قال کان
النبی صلی اللہ علیہ وسلم اذا کربہ امر قال یا حی یا قیوم برحمتک استغیث وفی صحیح الحاکم
من حدیث ابی امامۃ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال اسم اللہ الاعظم فی ثلث سور
من القرآن البقرۃ وآل عمران وطٰہٰ قال القاسم فالتمستہا فاذا ہی آیۃ الحی القیوم وفی
جامع الترمذی وصحیح الحاکم من حدیث سعد بن ابی وقاص عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم
قال دعوۃ ذی النون اذ دعا وہو فی بطن الحوت لا الٰہ الا انت سبحانک انی کنت من
الظالمین انہ لم یدع بہا مسلم فی شئ قط الا استجاب اللہ لہ قال الترمذی حدیث صحیح وفی
صحیح الحاکم ایضا من حدیث سعد عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم الا اخبرکم بشئ اذا نزل
برجل منکم امر مہم فدعا بہ یفرج اللہ عنہ دعاء ذی النون وفی صحیحہ ایضا عنہ انہ سمع النبی صلی اللہ
علیہ وسلم وہو یقول ہل ادلکم علی اسم اللہ الاعظم دعاء یونس فقال رجل یا رسول اللہ ہل
کان لیونس خاصۃ فقال الا تسمع قولہ فاستجبنا لہ ونجیناہ من الغم وکذلک ننجی المؤمنین
فایما مسلم دعا بہا فی مرضہ اربعین مرۃ فمات فی مرضہ ذلک اعطی اجر شہید وان برأ
برأ مغفورا لہ وفی الصحیحین من حدیث ابن عباس ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
کان یقول عند الکرب لا الٰہ الا اللہ العظیم الحلیم لا الٰہ الا اللہ رب العرش العظیم لا الٰہ
الا اللہ رب السموات ورب الارض رب العرش الکریم وفی مسند الامام احمد من حدیث

علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ قال علمنی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذا نزل بی کرب
ان اقول لا الہ الا اللہ الحلیم الکریم سبحان اللہ وتبارک اللہ رب العرش العظیم والحمد للہ رب
العلمین وفی مسندہ ایضاً من حدیث عبد اللہ بن مسعود قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم ما اصاب احداً قط ہم ولا حزن فقال اللھم انی عبدک ابن عبدک ابن
امتک ناصیتی بیدک ماض فی حکمک عدل فی قضاؤک اسألک اللھم بکل اسم ہو لک
سمیت بہ نفسک او علمتہ احداً من خلقک او انزلتہ فی کتابک او استاثرت بہ فی علم الغیب عندک ان
تجعل القرآن العظیم ربیع قلبی ونور صدری وجلاء حزنی وذہاب ہمی الا اذہب اللہ ہمہ
وحزنہ وابدلہ مکانہ فرحاً فقیل یا رسول اللہ الا نتعلمہا قال بل ینبغی لمن سمعہا ان یتعلمہا
وقال ابن مسعود ما کرب نبی من الانبیاء الا استغاث بالتسبیح وذکر ابن ابی الدنیا فی کتاب
المجابین فی الدعاء عن الحسن قال کان رجل من اصحاب النبی صلی اللہ علیہ وسلم
من الانصار یکنی ابا معلق وکان تاجراً یتجر بمال لہ ولغیرہ یضرب بہ فی الآفاق وکان
ناسکاً ورعاً فخرج مرۃ فلقیہ لص مقنع فی السلاح فقال لہ ضع ما معک فانی قاتلک
قال فما ترید الا دمی فشانک والمال قال اما المال فلی ولست ارید الا دمک قال اما اذا ابیت
فذرنی اصلی اربع رکعات قال صل ما بدا لک فتوضأ ثم صلی اربع رکعات فکان من
دعائہ فی آخر سجدۃ ان قال یا ودود یا ذا العرش المجید یا فعال لما ترید اسألک بعزک
الذی لا یرام وبملکک الذی لا یضام وبنورک الذی ملأ ارکان عرشک ان تکفینی شر
ہذا اللص یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی ثلث مرات فاذا ہو بفارس
اقبل بیدہ حربۃ قد وضعہا بین اذنی فرسہ فلما بصر بہ اللص اقبل نحوہ فطعنہ فقتلہ ثم
اقبل الیہ فقال قم فقال من انت بابی انت وامی فقد اغاثنی اللہ بک الیوم فقال
انا ملک من اہل السماء الرابعۃ دعوت فسمعت لابواب السماء قعقعۃ ثم دعوت بدعائک الثانی فسمعت لاہل السماء ضجۃ ثم
دعوت بدعائک الثالث فقیل لی دعاء مکروب فسألت اللہ ان یولینی قتلہ قال
الحسن فمن توضأ وصلی اربع رکعات ودعا بہذا الدعاء استجیب لہ مکروباً کان او غیر مکروب

فصل

... قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكراً لحسنته او صادف الدعاء وقت اجابة ونحو ذلك فاجيبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ ذلك الدعاء فياخذه مجرداً عن تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء مجرده كاف في حصول المطلوب كان غالطاً وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر للقبر ولم يعلم ان السر للاضطرار وصدق اللجاء الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان افضل واحب الى الله

فصل

والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به والساعد ساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التاثير فان كان الدعاء في نفسه غير صالح او الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء او كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر

٩

فصل

وههنا سؤال مشهور وهو ان المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد قدر لم يقع سواء ساله العبد او لم يساله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل وان لم يقدرا لم يقعا اكلت او لم تاكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت الزوجة والامة او لم تطأ وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا فهل يقول هذا عاقل او آدمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلاً وتكايس بعضهم وقال الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء والامساك عنه بالقلب واللسان في التاثير في

حصول المطلوب فارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ولا فرق وقالت طائفة أخرى
ليس من هؤلاء بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه أمارة على قضاء الحاجة فمتى وفق
العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد قضيت وهذا كما إذا رأيت غيماً
أسود بارداً في زمن الشتاء فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا وهكذا حكم الطاعات
مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا أنها
أسباب له وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الإحراق والإزهاق مع القتل ليس
شيء من ذلك سبباً البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي
لا التأثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل أضحكوا
عليهم العقلاء والصواب أن ههنا قسماً ثالثاً غير ما ذكره السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب
ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع
المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب ١٠
وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك
قدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال وهذا القسم هو الحق وهذا الذي حرمه السائل
ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح
أن يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال
وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب ولما كان الصحابة
رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله وأفقههم في دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه
من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان أعظم جنده وكان يقول للصحابة
لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء وكان يقول إني لا أحمل هم الإجابة ولكن
هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه وأخذ هذا الشاعر فنظمه فقال ؎
أطمعتني عودتني لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه ✽ من جود كفيك ما علمتني الطلبا ✽ فمن ألهم الدعاء فقد أريد
به الإجابة فإن الله سبحانه يقول ادعوني أستجب لكم وقال وإذا سألك عبادي عني
فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على
ان رضاه في سؤاله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما ان
كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد اثرا انا الله لا اله الا انا اذا رضيت
باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل
والنقل والفطرة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى
رب العالمين وطلب مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة
لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت
نقمة الله بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول
الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب
الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على الف
موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله تعالى
١١ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقوله والسا
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة ترتبه عليه بصيغة الشرط
والجزاء كقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونظائره وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وتارة يأتي باداة كي التي للتعليل كقوله
كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة يأتي بباء السببية كقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم
وقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وقوله ذلك بانهم كفروا باياتنا وتارة يأتي بالمفعول لاجله ظاهرا
او محذوفا كقوله فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى وكقوله تعالى ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين وقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اي كراهة ان تقولوا وتارة يأتي بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وقوله فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة يأتي باداة لما الدالة على الجزاء كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم
ونظائره وتارة يأتي بان وما عملت فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في ضده
انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة يأتي باداة لولا الدالة على ارتباط ما قبلها
بما بعدها كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة يأتي بلو الدالة
على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره
صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب
احكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الاسباب والاعمال ومن تفقه في هذه المسألة
وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً واضاعةً
فيكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر
بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش الا بذلك فان الجوع والعطش ۱۴
والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا
من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان والاعمال
الصالحة فهذا وزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده فرب الدارين واحد وحكمته واحدة
لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً فهذه المسألة من اشرف المسائل لمن عرف
قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه امران بهما تتم سعادته وفلاحه
احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك بما شهده في العالم
وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديماً وحديثاً ومن النفع ما في ذلك تدبر
القرآن فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعاً مفصلة مبينة
ثم السنة فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من
غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك تعاين ذلك عياناً وبعد ذلك فاذا
تأملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن
والسنة ورأيته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على ان

القرآن حق وان الرسول حق وان الله منجز وعده لا محالة فالتاريخ لتفصيل جزئيات ما
عرفنا الله ورسوله من الاسباب الكلية للخير والشر؟

فصل

الامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف
ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه
بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة
وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء تارة
وبالاقتداء بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله
زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما
افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو
۱۳ كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم اغتسل وطاف
بالبيت اسبوعا قد محي عنه ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذنب عبد ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فغفر الله ذنبه ثم مكث
ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل
علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء وقال انا لا اشك
ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص من الرجاء
واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه
من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء وللجهال من هذا الضرب من الناس في
هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم ؎ وكثر ما استطعت من الخطايا ؛ اذا كان القدوم
على كريم ؛ وقول بعضهم التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب
جراءة على مغفرة الله واستصغار لها وقال محمد بن حزم رأيت بعض هؤلاء من يقول
في دعائه اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسألة الجبر وان

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن هؤلاء من يغتر بمسألة
الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال ليست من الايمان وان ايمان افسق الناس
كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من يغتر بمحبة الفقراء والمشائخ والصالحين وكثرة التردد
الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه
وحرمتهم عنده ومنهم من يغتر بآبائه واسلافه وان لهم عند الله مكانة وصلاحا فلا يدعون ان
يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب ابنائهم واقاربهم
واذا وقع احد منهم في امر مفظع خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله
عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته له لا ينقص من ملكه شيئا فيقول
انا مضطر الى رحمته وهو اغنى الاغنياء ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء عند من
في داره شط يجري لما منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد
في ملكه شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه
كما اتكل بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وهو لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح ١٤
الجهل وابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين على الكبائر
فحاشا رسوله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكما اتكل بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا
من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية فانه رأس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الآية
في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب اي ذنب كان ولو كانت الآية في حق غير
التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج قوم من الموحدين من النار
بالشفاعة وهذا انما اوتي صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم انه اراد
التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر الله سبحانه انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان
هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا
جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه

[illegible]
فی غیر موضعه واغتر بهن لاینبغی الاغترار به وکاغترار بعضهم بقوله تعالیٰ فی النار لا یصلاها الا
الاشقی الذی کذب وتولیٰ وقوله اعدت للکفرین ولم یدر ہذا المغتر ان قوله فانذرتکم نارا تلظی
ہی النار مخصوصة من جملة درکات جہنم ولو کانت جمیع جہنم فہو سبحانه لم یقل لا یدخلہا بل قال
لا یصلاها الا الاشقی ولا یلزم من عدم صلیہا عدم دخولہا فان الصلی اخص من الدخول ونفی
الاخص لا یستلزم نفی الاعم ثم ہذا المغتر لو تأمل الآیة التی بعدہا لعلم انه غیر داخل فیہا فلا یکون
مضمونا له ان یجنبہا واما قوله فی النار اعدت للکفرین فقد قال فی الجنة اعدت للمتقین ولا
ینافی اعداد النار للکفرین ان تدخلہا الفساق والظلمة ولا ینافی اعداد الجنة للمتقین ان
یدخلہا من فی قلبه ادنیٰ مثقال ذرة من ایمان ولم یعمل خیرا قط وکاغترار بعضہم علی صوم
یوم عاشوراء او یوم عرفة حتی یقول بعضہم یوم عاشوراء یکفر ذنوب العام کلہا ویبقی صوم عرفة
زیادة فی الاجر ولم یدر ہذا المغتر ان صوم رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل من صیام
یوم عرفة ویوم عاشوراء وہی انما تکفر ما بینہما اذا اجتنبت الکبائر فرمضان والجمعة الی الجمعة
لا یقویٰ علی تکفیر الصغائر الا مع انضمام ترک الکبائر الیہا فیقوی مجموع الامرین علی تکفیر
الصغائر فکیف یکفر صوم تطوع کل کبیرة عملہا العبد وہو مصر علیہا غیر تائب منہا ہذا محال علی انه
لا یمتنع ان یکون صوم یوم عرفة ویوم عاشوراء یکفر لجمیع ذنوب العام علی عمومه ویکون من نصوص
الوعد التی لہا شروط وموانع ویکون اصراره علی الکبائر مانعا من التکفیر فاذا لم یصر علی الکبائر
تساعد الصوم وعدم الاصرار وتعاونا علی عموم التکفیر کما کان رمضان والصلوات الخمس مع
اجتناب الکبائر متساعدین متعاونین علی تکفیر الصغائر مع انه سبحانه قد قال ان تجتنبوا کبائر
ما تنہون عنه نکفر عنکم سیئاتکم فعلم ان جعل الشیء سببا للتکفیر لا یمنع ان یتساعد ہو وسبب آخر
علی التکفیر ویکون التکفیر مع اجتماع السببین اقویٰ واتم منه مع انفراد احدہما وکلما قویت اسباب التکفیر کان
اقویٰ واتم واشمل وکاتکال بعضہم علی قوله صلی الله علیه وسلم حاکیا عن ربه انا عند حسن ظن
عبدی بی فلیظن بی ما شاء یعنی ما کان فی ظنه فانا فاعله به ولا ریب ان حسن الظن انما یکون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه ان یجازیه علی احسانه ولا یخلف وعده ویقبل توبته

واما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من
حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن
الظن به ولا يجامع وحشة الاساءة احسان الظن ابدا فان المسيء مستوحش بقدر اساءته
واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه
فاحسن العمل وان الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل فكيف يكون محسن الظن بربه من
هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وامره عليه فاضاعه
وهان نهيه عليه فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعادى اولياءه
ووالى اعداءه وجحد صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه ووصفته به رسله وظن بجهله ان
ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن به من يظن انه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا
يغضب وقد قال الله في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا ان الله سبحانه لا يعلم
كثيرا مما يعملون كان هذا اساءة لظنهم بربهم فارداهم ذلك الظن وهذا شأن كل من جحد 16
صفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخله الجنة كان هذا غرورا وخداعا
من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن بربه فتأمل هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة
اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه ويرى مكانه
ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين يديه ومسؤول عن كل
ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من
خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو امامة بن سهل بن حنيف دخلت انا وعروة بن الزبير
على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت
عندي ستة دنانير او سبعة فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني
وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال ما فعلت اكنت
فرقت الستة الدنانير فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها
في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه

عنده فيا الله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان كان
ينفعهم قولهم حسنا ظنوننا بك لم يعذب ظالم ولا فاسق فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل
ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد
وقد قال ابراهيم لقومه ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم ان
يفعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان حسن الظن
بالله هو حسن العمل نفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه على اعماله ويثيبه
عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما احسن ظنه احسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع
الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وبالجملة
فحسن الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتأتى احسان الظن فان قيل بل يتأتى
ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه
۱۷ وانه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
ولكن انما يضع ذلك في محله اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش
وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك في ذلك
البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض
اوقمع للعنته واوقع في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة
بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم احسن الظن فهذا حسن ظن والاول غرور والله المستعان
ولا تستطل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة لكل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرور به
قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل
الظالمين هؤلاء اهل الرجاء لا البطالين والفاسقين وقال تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه الاشياء غفور
رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه

فصل

وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب
وانه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار على الذنب فهو كالمعاند وقال
معروف رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق وقال بعض العلماء من قطع عضوا
منك في الدنيا بسرقة ثلثة دراهم لا تأمن ان تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا وقيل للحسن
نراك طويل البكاء فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي وسأل رجل الحسن فقال
يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب تنقطع
اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب اقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف
وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطوف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تأمرنا بالمعروف
وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وذكر الامام
احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال أف لك ١٨
أف لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا الى آل فلان فغل
نمرة فدرع الآن مثلها من نار وفي مسنده ايضا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء قالوا خطباء من امتك من اهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم
افلا يعقلون وفيه ايضا من حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل
فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضا عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين
من اصابع الله يقلبها كيف يشاء وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار وفي صحيح مسلم عنه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بانعم اہل الدنیا من اہل النار فیصبغ فی النار صبغۃ ثم یقال لہ یا ابن آدم ہل رایت خیرا قط ہل مر بک نعیم قط فیقول لا واللہ یا رب ویؤتی باشد الناس بؤسا فی الدنیا من اہل الجنۃ فیصبغ فی الجنۃ صبغۃ فیقال لہ یا ابن آدم ہل رایت بؤسا قط ہل مر بک شدۃ قط فیقول لا واللہ یا رب ما مر بی بؤس قط ولا رایت شدۃ قط وفی السند من حدیث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فی جنازۃ رجل من الانصار فانتہینا الی القبر ولما یلحد فجلس رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وجلسنا حولہ کان علی رؤسنا الطیر وفی یدہ عود ینکت بہ فی الارض فرفع راسہ فقال استعیذوا باللہ من عذاب القبر مرتین او ثلثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا کان فی انقطاع من الدنیا واقبال من الآخرۃ نزل الیہ ملئکۃ من السماء بیض الوجوہ کان وجوہہم الشمس معہم کفن من اکفان اہل الجنۃ وحنوط من حنوط الجنۃ حتی یجلسوا منہ مد البصر ثم یجیء ملک الموت حتی یجلس عند راسہ فیقول یا ایتہا النفس المطمئنۃ اخرجی الی مغفرۃ من اللہ ورضوان فتخرج تسیل کما تسیل القطرۃ من فی السقاء فیاخذہا فاذا اخذہا لم یدعوہا فی یدہ طرفۃ عین حتی یاخذوہا فیجعلوہا فی ذلک الکفن وفی ذلک الحنوط ویخرج منہا کاطیب نفحۃ مسک وجدت علی وجہ الارض فیصعدون بہا فلا یمرون بہا علی ملأ من الملئکۃ الا قالوا ما ہذا الروح الطیبۃ فیقولون فلان بن فلان باحسن اسمائہ التی کانوا یسمونہ بہا فی الدنیا حتی ینتہوا بہ الی سماء الدنیا فیستفتحون لہ فیفتح لہ فیشیعہ من کل سماء مقربوہا الی السماء التی تلیہا حتی ینتہی بہ الی السماء السابعۃ فیقول اللہ عز وجل اکتبوا کتاب عبدی فی علیین واعیدوہ الی الارض فانی منہا خلقتہم وفیہا اعیدہم ومنہا اخرجہم تارۃ اخری قال فتعاد روحہ فیاتیہ ملکان فیجلسانہ فیقولان لہ من ربک فیقول ربی اللہ عز وجل فیقولان لہ ما دینک فیقول دینی الاسلام فیقولان لہ ما ہذا الرجل الذی بعث فیکم فیقول ہو محمد رسول اللہ فیقولان لہ وما علمک فیقول قرأت کتاب اللہ عز وجل فآمنت بہ وصدقت فینادی مناد من السماء ان صدق عبدی فافرشوہ من الجنۃ والبسوہ من الجنۃ وافتحوا لہ بابا الی الجنۃ قال فیاتیہ من روحہا وطیبہا ویفسح لہ فی قبرہ مد بصرہ قال ویاتیہ رجل حسن الوجہ حسن الثیاب طیب الریح فیقول ابشر بالذی یسرک ہذا یومک الذی

رایت بؤسا

۱۹

كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير فيقول انا عملك الصالح
فيقول رب اقم الساعة ثم رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد
الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه الملئكة من السماء سود
الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع
السفود من الصوف المبتل فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك — ن المبلول
المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها
على ملإ من الملئكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم — ن كانوا يسمونه
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان — الحج ٢٠
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي
مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت
توعد فيقول ومن انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول
رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها
جبلا كان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة اخرى
فيصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب الى النار ويمهد له من
فرش النار وفي السند ايضا عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ بصر بجماعة فقال علام اجتمع هؤلاء قيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه

وسلم فبينا بين يدي اصحابه مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين
يديه لانظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا
اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فنادى ثلث مرات يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله
اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا آياتيهم فبعثوا رجلا يترائى لهم فابصر العدو يأخذهم
فاقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس اتيتم
ايها الناس اتيتم ثلث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل ما اسكر حرام وان على الله عزوجل عقدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة مسكر عصا
الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك
يسبح الله ساجدا لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى ۲۱
الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابوذر والله لوددت اني شجرة تعضد وفي المسند ايضا
من حديث حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر
قعد على شافته فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ
على الكافر نارا والحمائل عروق الانثيين وفي المسند ايضا من حديث جابر قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت فقال لقد تضايق على
هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان
كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين تذهبون بها
يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث

ابی امامة قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم تدنو الشمس یوم القیمة علی قدر میل
ویزاد فی حرها کذا وکذا تغلی منها الرؤس کما تغلی القدور یعرقون فیها علی قدر خطایاهم منهم منها
من یبلغ الی کعبه ومنهم من یبلغ الی ساقیه ومنهم من یبلغ الی وسطه ومنهم من یلجمه العرق وفیه
عن ابن عباس عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال کیف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنی جبهته یسمع متی
یؤمر فینفخ فقال اصحابه کیف نقول قال قولوا حسبنا اللہ ونعم الوکیل علی اللہ توکلنا وفی المسند ایضا عن ابن عمر رفعه
من تعظم فی نفسه او اختال فی مشیته لقی اللہ تعالی وهو علیه غضبان وفی الصحیحین عنه قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم ان المصورین یعذبون یوم القیمة ویقال لهم احیوا ما خلقتم وفیه ایضا عنه عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم ان احدکم اذا مات
عرض علیه مقعده من الغداة والعشی ان کان من اهل الجنة فمن اهل الجنة
وان کان من اهل النار فمن اهل النار فیقال هذا مقعدک حتی یبعثک اللہ عز وجل
یوم القیمة وفیهما ایضا عنه عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم اذا صار اهل الجنة فی الجنة واهل
النار فی النار جیء بالموت حتی یوقف بین الجنة والنار ثم یذبح ثم ینادی مناد یا اهل الجنة ۲۲
خلود ولا موت ویا اهل النار خلود ولا موت فیزداد اهل الجنة فرحا الی فرحهم ویزداد اهل النار
حزنا الی حزنهم وفی المسند عنه قال من اشتری ثوبا بعشرة دراهم فیها درهم حرام لم یقبل اللہ له
صلوة ما دام علیه ثم ادخل اصبعیه فی اذنیه ثم قال صمتا ان لم اکن سمعت النبی صلی اللہ علیه
وسلم یقوله وفیه عن عبد اللہ بن عمرو عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال من ترک الصلوة سکرا مرة واحدة
فکانما کانت له الدنیا وما علیها فسلبها ومن ترک الصلوة سکرا اربع مرات کان حقا علی اللہ
ان یسقیه من طینة الخبال قیل وما طینة الخبال یا رسول اللہ قال عصارة اهل جهنم وفیه
ایضا عنه مرفوعا من شرب الخمر شربة لم تقبل له صلوة اربعین صباحا فان تاب تاب اللہ
علیه فلا ادری فی الثالثة او فی الرابعة قال فان عاد کان حقا علی اللہ ان یسقیه من ردغة
الخبال یوم القیمة وفی المسند ایضا من حدیث ابی موسی قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیه وسلم من مات مدمنا للخمر سقاه اللہ من نهر الغوطة قیل وما نهر الغوطة قال نهر یجری من
فروج المومسات یؤذی اهل النار ریح فروجهن وفیه ایضا عنه قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیه وسلم تعرض الناس یوم القیمة ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذیر واما

الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث
ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على
الرجل حتى يهلكنه وضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كمثل قوم نزلوا ارض فلاة العبد
فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا
نارا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليضرب الجسر على جهنم فاكون اول من يجوز فدعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
وحافتيه كلاليب مثل شوك السعدان تختطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل يختلف الناس
ثم ينجوا حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوه فيعرفونه بعلامة اثر السجود وحرم الله
على النار ان تاكل من ابن آدم اثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء
الحيوة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى فيه يوم القيمة ثلثة رجل استشهد فاتي به ٢٣
فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن
قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك
القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو
قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه في رزقه واعطاه
من اصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من
سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو
جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فهؤلاء اول خلق الله تسعر
بهم النار يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبياء فشر الناس من
تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصديقون
والمخلصون فشر الناس من تشبه بهم يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليأته فليستحلها منه
قبل ان يؤخذ وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث ابي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيمة الى سبع
ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقد
بنوا آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها
قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ قال اوصاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت او حرقت ولا تعقن
والديك وان امراك ان تخرج من مالك واهلك ولا تتركن صلوة مكتوبة متعمدا فان
من ترك صلوة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرب خمرا فانه رأس كل فاحشة
واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف
ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحسن الرجاء
وحسن الظن قال ابو الوفا ابن عقيل احذر ولا تغتر فانه قطع اليد في ثلثة دراهم وجلد الحد في
مثل رأس الابرة من الخمر وقد دخلت المرأة النار في هرة واشتعلت الشملة نارا على من غلها وقد
قتل شهيدا وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن
شهاب يرفعه قال دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما
قرب فقال ليس عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا
للآخر قرب فقال ما كنت اقرب شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه
الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض
المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغير به ويظن ان ذلك من محبة الله
له وانه يعطيه في الآخرة افضل من ذلك فهذا من الغرور قال الامام احمد ثنا يحيى بن غيلان
ثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما
هو استدراج ثم تلى قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا رأيت الله عز وجل يتابع عليك
نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة
عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي
ليس كل من النعمة ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته وليس كل من ابتليته وضيقت عليه
رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعم والكرم هذا بالابتلاء وفي جامع الترمذي عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب
وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس
عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم

فصل

واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فآثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة حتى يقول
بعض هؤلاء الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقود
ولا ذرة موعودة ويقول آخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الآخرة مشكوك فيها ولا
ادع اليقين للشك وهذا من اعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهائم العجم اعقل من
هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم
على ما فيه عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا الضرب ان آمن احدهم بالله ورسوله ولقائه
والجزاء فهو من اعظم الناس حسرة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له وقول
هذا القائل النقد خير من النسيئة جوابه انه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان تفاوتا
وكانت النسيئة اكبر وافضل فهي خير فكيف والدنيا كلها من اولها الى آخرها كنفس واحد من

انفاس الآخرة كما فی مسند احمد والترمذی من حدیث المستورد بن شداد قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم ما الدنیا فی الآخرة الا کما یدخل احدکم اصبعه فی الیم فلینظر بم یرجع فایثار
هذا النقد علی هذه النسیئة من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا کان هذا نسبة الدنیا بمجموعها الی الآخرة
فانیهما فما مقدار عمر الانسان بالنسبة الی الآخرة فایما اولی بالعاقل ایثار العاجل فی هذه المدة الیسیرة
وحرمان الخیر الدائم فی الآخرة ام ترک شیء حقیر صغیر منقطع عن قرب لیاخذ ما لا قیمة له ولا خطر له ولا
نهایة لعدده ولا غایة لامده واما قول الآخر لا اترک متیقنا لمشکوک فیه فیقال له اما ان تکون
علی شک من وعد الله ووعیده وصدق رسله او تکون علی الیقین من ذلک فان کنت
علی الیقین فما ترکت الا ذرة عاجلة منقطعة فانیة عن قرب لامر متیقن لا شک فیه ولا انقطاع له
فراجع وان کنت علی شک فتامل آیات الرب تعالی الدالة علی وجوده وقدرته ومشیئته ووحدانیته
وصدق رسله فیما اخبروا به عنه وتجرد وقم لله ناظرا او مناظرا حتی یتبین لک ان ما جاءت به الرسل
٢٦ عن الله فهو الحق الذی لا شک فیه وان خالق هذا العالم ورب السموات والارض یتعالی
ویتقدس ویتنزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الی غیر ذلک فقد شتمه وکذبه
وانکر ربوبیته وملکه اذ من المحال الممتنع عند کل ذی فطرة سلیمة ان یکون الملک الحق عاجزا
او جاهلا لا یعلم شیئا ولا یسمع ولا یبصر ولا یتکلم ولا یامر ولا ینهی ولا یثیب ولا یعاقب ولا یعز
من یشاء ولا یذل من یشاء ولا یرسل رسله الی اطراف مملکته ونواحیها ولا یعتنی باحوال رعیته
اتحد بل یترکهم سدی ویخلیهم هملا وهذا یقدح فی ملک آحاد ملوک البشر ولا یلیق به فکیف یجوز نسبة
الملک الحق المبین الیه واذا تامل الانسان حاله من مبدا کونه نطفة الی حین کماله واستوائه
تبین له ان من عنی به هذه العنایة ونقله الی هذه الاحوال وصرفه فی هذه الاطوار لا یلیق به
ان یهمله ویترکه سدی لا یامره ولا ینهاه ولا یعرفه بحقوقه علیه ولا یثیبه ولا یعاقبه ولو تامل العبد
حق التامل لکان کل ما یبصر وما لا یبصر دلیلا له علی التوحید والنبوة والمعاد وان القرآن کلامه وقد
ذکرنا وجه الاستدلال بذلک فی کتاب ایمان القرآن عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون انه لقول رسول کریم وذکرنا طرفا من ذلک عند قوله وفی انفسکم افلا تبصرون وان
الانسان دلیل نفسه علی وجود خالقه وتوحیده وصدق رسله واثبات صفات کماله فقد بان

بان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه ويقينه وتقدير تكذيبه وشكه فان قلت كيف
يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل وهل في الطباع
البشرية ان يعلم العبد انه مطلوب غداً الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهياً غافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له ولا يأخذ له اهبته
قيل هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب
الاشياء وهذا التخلف له عدة اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين ومن ظن ان
العلم لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سأل ابراهيم الخليل ربه ان يريه احياء
الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمأنينة ويصير المعلوم غيباً شهادة وقد
روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى
ضعف العلم عدم استحضاره او غيبته عن القلب كثيراً من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده
وانضم الى ذلك تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان واستبطاء
٢٧ الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التأويل والف العوائد فهناك
لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وبهذا السبب يتفاوت
الناس في الايمان والاعمال حتى ينتهي الى ادنى مثقال ذرة في القلب وجماع هذه الاسباب
يرجع الى ضعف البصيرة والصبر ولهذا مدح الله سبحانه اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة في الدين
فقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

فصل

وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق
اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن
كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة جاذباً
وتفريطاً فهو المغرور ولو ان رجلاً كانت له ارض يؤمل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه فاهملها ولم يبذرها
ولم يحرثها وحسن ظنه بانه يأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث وبذر وسقي وتعاهد الارض لعده
الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بانه يجيئه ولد من غير جماع او يصير بان يأتيه

اهمل ايمانه من غير طلب العلم وحرص تام عليه وامتثال ذلك فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله فتأمل كيف جعل رجاءهم باتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين
المضيعين لحقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرئين على محارمه اولئك يرجون
رحمة الله وسر المسألة ان الرجاء وحسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب التي اقتضتها حكمة
الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ان لا يكله اليها
وان يجعلها موصلة الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها ويبطل اثرها

فصل

ومما ينبغي ان يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها محبة ما يرجوه الثاني خوفه من
فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب
الاماني والرجاء شيء والاماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف اسرع
السير مخافة الفوات وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة
الله الجنة وهو سبحانه كما جعل الرجاء لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال الصالحة
فعلم ان الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال الله تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون
فقال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان
لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقد روي من حديث ابي هريرة ايضا
والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقياء بالاساءة اهل الشقاء

مع الامن ومن تأمل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن
جمعنا بين التقصير بل التفريط والامن فهذا الصديق يقول وددت اني شعرة في جنب عبد
مؤمن ذكره احمد عنه وذكر عنه ايضا انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان
يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله
عقعقه شجر عزوجل واتي بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من التسبيح
ولما احتضر قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد فاسرعي
به الى ابن الخطاب وقال والله لوددت اني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد وقال قتادة
وددت اني بلغني ان ابا بكر قال ليتني خضرة تأكلني الدواب وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور الى ان بلغ
قوله ان عذاب ربك لواقع فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك
لعل الله ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر الله لي ثلثا ثم قضى وكان
يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه
٢٩
رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني انجو لا اجر ولا وزر وهذا عثمان بن
عفان كان اذا وقف على القبر بكى حتى تبل لحيته وقال لو انني بين الجنة والنار لا ادري
الى ايتهما يؤمر بي لاخترت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايتهما اصير وهذا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنتين طول الامل واتباع الهوى قال فاما
طول الامل فينسي الآخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبرة
والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وهذا ابو الدرداء كان يقول ان اشد ما
اخاف على نفسي يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت
وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا
يستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على انفسكم ولوددت
اني شجرة تعضد ثم تؤكل وهذا عبد الله بن عباس كان اسفل عينيه مثل الشراك البالي

من الدموع وكان ابو ذر يقول يا ليتني كنت شجرة تعضد ووددت اني لم اخلق وعرضت عليه
النفقة فقال عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني اخاف الحساب فيها وقرأ (نسخة: حمارة المستقى)
تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات جعل يرددها ويبكي حتى اصبح وقال ابو عبيدة بن الجراح
وددت اني كبش فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحسوا مرقي وهذا باب يطول تتبعه قال البخاري
في صحيحه باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي
على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبرئيل وميكائيل
ويذكر عن الحسن ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة
انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل المراد اني ٣٠
لا افتح على هذا الباب فكل من سألني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسكته (نسخة: فازكيه) قلت وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي سأله ان يدعو له ان
يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده احق
بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم
يستحق ان يكون منهم فكان الامساك اولى والله اعلم

فصل

فلنرجع الى ما كنا فيه من ذكر دواء الداء الذي ان استمر افسد دنيا العبد وآخرته فمما ينبغي ان
يعلم ان الذنوب والمعاصي تضر ولا شك ان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف
درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي فما الذي
اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الآلام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت
السماء (نسخة: السموات) وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب
بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة الولي الحميد اعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح

والتقديس والتهليل بجعل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر
والفسوق والعصيان فهان على الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه
غضب الرب تعالى فاهواه ومقته اكبر المقت فارداه فصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضي
لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم من مخالفة امرك وارتكاب
نهيك وما الذي اغرق اهل الارض كلهم حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح العقيم
على قوم عاد حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من
ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للامم الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم
ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في اجوافهم وماتوا عن آخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت
الملئكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم حجارة من سجيل السماء
امطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم ولاخوانهم امثالها وما هي من الظالمين
ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم امطر عليهم
نارا تلظى وما الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق والارواح ۱۳۱
للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي اهلك القرون من بعد نوح بانواع
العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي اهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم وما اصحاب
الذي بعث على بني اسرائيل قوما اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا
الذرية والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا الذراري الذي اخربوا الكفار
ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الديار
الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك اقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة من يسومهم سوء العذاب قال الامام احمد ثنا الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو حدثني
عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها فبكى بعضهم الى بعض
فرأيت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام
واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون الخلق على الله عز وجل اذا اضاعوا امره بينا هي امة قاهرة ضيعوا
ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت

ابا البختري يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لن يهلك الناس حتى
يعذروا من انفسهم وفي مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله
اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قلت فكيف يصنع باولئك قال يصيبهم ما اصاب
الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وما لم يزك صلحاؤها فجارها
وما لم يهن خيارها شرارها فاذا هم فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فيسومونهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفي المسند من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله امن قلة
نسخہ اعدائكم بنا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم وتجعل في
۳۲ قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحيوة وكراهية الموت وفي المسند من حديث انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضأن
من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل ابي تغترون
وعلي تجترون فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيرانا وذكر ابن ابي الدنيا
من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال علي يأتي على الناس زمان لا يبقى من
الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى
علماؤهم شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث سماك بن
حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الربوا والزنا في قرية
اذن الله عز وجل بهلاكها وفي مراسيل الحسن اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا

بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عز وجل عند ذلك فأصمهم وأعمى
أبصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال كنت عاشر
عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال وأعوذ بالله أن تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع
قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم
عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله
بأسهم بينهم وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أبي عبيدة بن
عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من كان قبلكم
كان إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعذيراً فقال يا هذا اتق الله فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه
كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض
ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم وذكر ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عمرو الصنعاني
قال أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً
من شرارهم قال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم
ويشاربونهم وذكر أبو عمر بن عبد البر عن أبي عمران قال بعث الله عز وجل ملكين إلى قرية أن دمراها بمن فيها فوجدا فيها رجلاً قائماً
يصلي في مسجد فقالا يا رب إن فيها عبدك فلاناً يصلي فقال الله عز وجل دمراها ودمراه معهم فإنه ما تمعر وجهه في قط وذكر الحميدي
عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد عن مسعر أن ملكاً أمر أن يخسف بالقرية فقال يا رب إن فيها فلاناً العابد فأوحى
الله إليه أن به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال لما أصاب داود الخطيئة قال يا رب اغفر لي قال قد غفرت لك
وألزمت عارها بني إسرائيل قال يا رب كيف وأنت الحكم العدل لا تظلم أحداً أنا أعمل الخطيئة وتلزم عارها غيري فأوحى الله إليه إنك لما
عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالإنكار وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة هو

٣٢٣

ورجل آخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا
الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عزوجل في سمائه فقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا ونزعوا
والا هدمها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا
وسخطا على الكافرين فقال انس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد
فرحا مني بهذا الحديث وذكر ابن ابي الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ثم قال اسكني فانه لم يان لك بعد ثم التفت الى
اصحابه فقال ان ربكم ليستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب
فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده لئن عادت
لا اساكنكم فيها ابدا وفي مناقب عمر لابن ابي الدنيا ان الارض تزلزلت على عهد عمر فضرب
يده عليها وقال مالك مالك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو ينطق وذكر الامام
احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم
لئن عادت لا تجدوني فيها وقال كعب انما زلزلت الارض اذا عمل فيها بالمعاصي فترعد
فرقا من الرب عزوجل ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان
هذا الرجف شيء يعاتب الله عزوجل به العباد وقد كتبت الى سائر الامصار ان يخرجوا في
يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان الله عزوجل قال قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما قال نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وقولوا كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال الامام احمد
ثنا اسود بن عامر ثنا ابوبكر عن الاعمش عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا
اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه
ابوداود باسناد حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا وما احد احق

فقال
الصحابة
الشيء
بيده
٣٤ تزلزلت
اساكنكم تزلزلت
يعاتب
يقول

بدينار ودرهم من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد في سبيل الله واتبعوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء
بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة من الله عز
وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم بخت نصر فقال بما كسبت
ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال بخت نصر لدانيال ما الذي سلطني
على قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن
ياسر وحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات
رأيت الاطفال واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار قال قرأت
في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم
عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
نخ عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا جعل امرهم الى حلمائهم وفيئهم عند سمحائهم واذا
٣٥ اراد بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم وذكر الامام احمد وغيره عن قتادة قال
موسى يونس يارب انت في السماء ونحن في الارض فما علامة غضبك من رضاك قال اذا استعملت
عنكم عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني
سلطت عليه من لا يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة سيماهم سيما الرهبان
وقلوبهم انتن من الجيف اهواؤهم مختلفة فيفتح الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون فيها والذي
اي يتهوكون فيها من غير مبالاة نفس محمد بيده لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب
لهم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر وما ظهر

في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربوا الا سلط الله عليهم الجنون ولا ظهر في قوم القتل
يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط الا ظهر فيهم الخسف وما ترك (فعل نسـ)
قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم رواه ابن ابي الدنيا
من حديث ابراهيم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن سعيد به وفي المسند وغيره
من حديث عروة عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفزه النفس
فعرفت في وجهه ان قد حفزه شيء فما تكلم حتى توضأ وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله (في الحجرة نسـ)
واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس ان الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتستنصروني فلا انصركم وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد ان (استجيب لكم نسـ)
من غفلتك عن نفسك واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتجاوزه ولا تأمر فيه ولا تنهى (الله)
عنه خوفا ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وقال من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من
المخلوقين نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخف بحقه وذكر الامام احمد في مسنده (لا يستخف بامره نسـ)

من حديث قيس بن ابي حازم قال قال ابو بكر الصديق ايها الناس انكم تتلون هذه الآية
وانكم تضعونها على غير مواضعها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني (في)
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على (فلم)
يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وذكر الاوزاعي
عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اخفيت الخطيئة فلا تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وذكر الامام احمد (خفيت لم اصحابها)
عن عمر بن الخطاب يوشك القرى ان تخرب وهي عامرة قيل وكيف تخرب وهي عامرة قال اذا علا فجارها على ابرارها (خيارها نسـ)
وساد القبيلة منافقها وذكر الاوزاعي عن حسان بن ابي عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم (منافقوها)
قال ستظهر شرار امتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم وذكر ابن ابي
الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب (مما ذاك مما نسـ)
الملح في الماء قيل مم ذاك يا رسول الله قال بما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره وذكر الامام
احمد من حديث جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز

واكثر من يعمله فلم يغيروا الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري عن اسامة بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه الم
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان ماشانك الست تكن
كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر
وآتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله
الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يغمز النساء فقال مهلا يابني مهلا يابني
فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر الى نسك
فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ماكان غضبك لي الا ان قلت مهلا
يابني مهلا يابني وذكر الامام احمد في حديث عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل القوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ٣٧
ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي صحيح
البخاري عن انس بن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها
على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عهد
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امراة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت حبستها
النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم عن
حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء تركوه
واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن ههنا قال بعض فعلوه
السلف المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض القبل
بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب الذنب لا تأمن فتنة الذنب سوء عاقبة الذنب
ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته فلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على
الذنب اعظم من الذنب وضحكك وانت لم تدر ما الله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك لاتدرى
بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك

الى الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري
ما كان ذنب ايوب عليه السلام فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله انه استغاث به مسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله وقال الامام احمد ثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن
انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله تعالى الى
موسى ان اول من مات من خلقي ابليس وذلك لانه اول من عصاني وانما اعد من عصاني من الاموات
وفي المسند وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكت
في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد ثنا يعقوب ثنا ابي عن صالح
عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ان رسول ٢٣٨
الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم اهل لهذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا
عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحى قضيبه فاذا هو
ابيض يصلد وذكر الامام احمد عن وهب قال ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل
اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت
واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وذكر ايضا عن وكيع ثنا زكريا عن عامر
قال كتبت عائشة الى معاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس
ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد عن ابي الدرداء قال ليحذر امرأ ان تلعنه قلوب المؤمنين
من حيث لا يشعر ثم قال تدري مم هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله
بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه
عن محمد بن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته
منذ اربعين سنة وههنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي انهم لا يرون
تأثيره في الحال وقد يتأخر تأثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغير بعد ذلك وان الامر كما قال

القائل ﴿ اذا لم يعتبر جائز في وقوعه فليس له بعد الوقوع عبارة ﴾ وسبحان الله ماذا اهلكت
هذه النكتة من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء
فضلا عن الجهال ولم يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح
المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء اعبدوا الله كانكم ترونه وعدوا
انفسكم في الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان البر لا يبلى وان الاثم
لا ينسى ونظر بعض العباد الى صبي فتأمل محاسنه فاتي في منامه وقيل له لتجدن غبها بعد
اربعين سنة هذا مع ان للذنب نقدا معجلا لا يتأخر عنه قال سليمان التيمي ان الرجل
ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل
يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذلك
قال يعصي الله فيشمت به في القيامة قال ذو النون من خان الله في السر هتك ستره في العلانية

بوقوعه

البلية

يغنيكم

فصل

وبا ٣٩

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه
الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور
ولما جلس الامام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه اعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد
ذكائه وكمال فهمه فقال اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية
وقال الشافعي ﴿ شكوت الى وكيع سوء حفظي * فارشدني الى ترك المعاصي * وقال
اعلم بان العلم فضل * وفضل الله لا يؤتاه عاصي * ومنها حرمان الرزق وفي المسند
ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك
التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه
بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ولو اجتمعت له لذات الدنيا باسرها لم تف
بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من في قلبه حياة وما لجرح بميت ايلام فلو لم ترك
الذنوب الا حذرا من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها وشكى رجل الى
بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال ﴿ اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها

له والمراد بالعلم العلم النافع والا فقد يكون الفاجر والمنافق عالما في الظاهر لكن لا ينتفع به والله اعلم ١٢

اذا شئت واستأنس وليس على القلب امر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان- قلب العبد امر

ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولاسيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه وقال بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق دابتي وامرأتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل الله له من امره عسرا ويا لله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها متعسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا في الوجه حتى يراه كل احد قال عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته عند احوج ما يكون الى نفسه فتامل قوة ابدان فارس والروم كيف خانتهم عند احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون بدله وتقطع طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة اكلات اطيب منها والله المستعان ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولابد

الى امر

فيا

في قلبه

بهم

فان البر كما يزيد فى العمر فالفجور ينقص العمر وقد اختلف الناس فى هذا الموضع فقالت طائفة نقصان
عمر العاصى هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تأثير المعاصى وقالت طائفة
بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة فى الرزق اسبابا كثيرة تكثره وتزيده وللبركة
فى العمر اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق
والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الله عز
وجل فهو يقضى ما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى
تأثير المعاصى فى محق العمر انما هو بأن حقيقة الحيوة هى حيوة القلب ولهذا جعل الله سبحانه الكافر
ميتا غير حى كما قال تعالى أموات غير احياء فالحيوة فى الحقيقة حيوة القلب وعمر الانسان
مدة حياته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة
تزيد فى هذه الاوقات التى هى حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله
واشتغل بالمعاصى ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التى يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتنى
قدمت لحياتى فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية او لا فان
لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت
عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان حقيقى
من عمره وسر المسألة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حيوة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره وايثار مرضاته

فصل

ومنها ان المعاصى تزرع امثالها وتولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج
منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة
بعدها فالعبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جنبها اعملنى ايضا فاذا عملها قالت الثالثة
كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك كانت السيئات ايضا حتى تصير
الطاعات والمعاصى هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة
لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه بانه كالحوت اذا
فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة

وان ينقص
الرتب
تعسرت بسبب
عقوبات
تزايد عليها جانب
كانه الحوت

فضاقت عليه نفسه وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هاني حيث يقول

وكاس شربت على لذة ... واخرى تداويت منها بها

وقال الآخر

وكانت دوائي وهي دائي بعينه ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله اليه الشياطين فتؤزه اليها ازا فالاول قوى جند الطاعة بالمدد فكانوا اكثر من اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه

فصل

ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك

فصل

ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهو عند ارباب الفسوق هو غاية التفكه وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرين وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فهتك نفسه وقد بات يستره ربه ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب والعلو في الارض بالفساد ميراث عن فرعون وقوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي

لا البس ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد
لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان قل لقومك
لا تدخلوا مداخل اعدائي ولا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تركبوا مراكب اعدائي ولا تطعموا مطاعم
اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له
وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه
بقوم فهو منهم ؎

فصل

ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا عينه
عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم واذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال الله تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا من شرهم
فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ٣٤ الذنب
ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وقد كبر
ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف
ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فطار ؎

فصل

ومنها ان غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب ذنوبه
والظلم قال ابو هريرة ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهد ان بالظلم
البهائم تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وتقول هذا بشؤم معصية
ابن آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا بني
القطر بذنوب بني آدم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له ؎ ؎ ؎ ؎ القطر

فصل

ومنها ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال تعالى من كان

يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان
من دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية لا تفارق قلوبهم ابى الله
الا ان يذل من عصاه وقال عبد الله بن المبارك سه رأيت الذنوب تميت القلوب ؎
وقد يورث الذل ادمانها ؎ وترك الذنوب حيوة القلوب ؎ وخير لنفسك عصيانها ؎
وهل افسد الدين الا الملوك ؎ واحبار سوء ورهبانها ؎

فصل

ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل ولا بد واذا طفي
نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه
لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي
داره وعلى بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الايمان
ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة
اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله
والاستخفاف به ذو عقل سليم ؎

فصل

ومنها ان الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض
السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب
وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم
احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدأ من المعصية فاذا زادت غلب الصدأ
حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف فاذا
حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه
حيث اراد ؎

فصل

ومنها ان الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصى
والتى غيرها اكبر منها فهى اولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة
والموصولة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن آكل الربو وموكله وكاتبه
وشاهده ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها

شاهديه
له

ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض
وهى اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه
بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن
من احدث حدثا او آوى محدثا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه ولعن من

بالسهام المخنثين

كمه اعمى عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة فى وجهها ولعن من ضار
بمسلم او مكر به ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد
امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة فى دبرها واخبر ان من باتت
مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملئكة حتى تصبح ولعن من انتسب الى غير ابيه واخبر ان
من اشار الى اخيه بحديدة فان الملئكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد لعن الله من افسد

على
لسلم مسلما
٤٥ باجرة
اصحابه رضى الله عنهم اجمعين

فى الارض وقطع رحمه وآذاه وآذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله سبحانه من البينات
والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن من
جعل سبيل الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس
لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل ولعن الراشى والمرتشى والرائش وهو الواسطة فى الرشوة ولعن
على اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن فى فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه الله
ورسوله وملئكته لكان فى ذلك ما يدعو الى تركه

فصل

ومنها حرمان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملئكة فان الله سبحانه امر
نبيه ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين

فقال

تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرهما فلا يطمع غير هؤلاء باجابة هذه الدعوة اذ لم يتصف بصفات المدعو له بها

تخصيصهم في الإجابة

فصل

ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم البارحة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله ان يقص وانه قال لنا ذات غداة انه اتاني الليلة آتيان وانهما انبعثاني وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتي احد شقي وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذان فقالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على مثل التنور واذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك اللهب ضوضوا فقال قلت من هؤلاء قال فقالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر له فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرآة كاكره ما انت راء رجلا مرآة واذا هو عنده نار يحشها ويسعى

بهما نسخة

٤٦

بحيثها نسخة

حولها قال قلت لهما ما هذا قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة فيها من
كل نور الربيع واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى رأسه طولا في السماء واذا
حول الرجل من اكثر ولدان رأيتهم قط قال قلت ما هذا وما هؤلاء قال قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فاتينا الى دوحة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها
فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض من
البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه جنة
عدن وهذاك منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا
لي هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله
قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قال قالا لي اما انا سنخبرك
اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام
عن الصلوة المكتوبة واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء
العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح
في النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربو واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن جهنم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين
حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني ولد على الفطرة فقال بعض المسلمين يا
رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم

فصل

ومن آثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه والهواء والزرع
والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض

الذی عملوا لعلہم یرجعون قال مجاہد اذا ولی الظالم سعی بالظلم والفساد فیحبس بذلک القطر
فیہلک الحرث والنسل واللہ لا یحب الفساد ثم قرأ ظہر الفساد فی البر والبحر بما کسبت ایدی
الناس لیذیقہم بعض الذی عملوا لعلہم یرجعون ثم قال اما واللہ ما ہو بحرکم ہذا ولکن کل
قریۃ علی ماء جار فہو بحر وقال عکرمۃ ظہر الفساد فی البر والبحر اما انی لا اقول لکم بحرکم ہذا ولکن کل
قریۃ علی ماء وقال قتادۃ اما البر فاہل العمود واما البحر فاہل القری والریف قلت وقد سمی اللہ
تعالی الماء العذب بحرا فقال ہو الذی مرج البحرین ہذا عذب فرات سائغ شرابہ وہذا
ملح اجاج ولیس فی العالم بحر حلو واقف وانما ہی الانہار الجاریۃ والبحر المالح ہو الساکن فتسمی القری
التی علی المیاہ الجاریۃ باسم تلک المیاہ وقال ابن زید ظہر الفساد فی البر والبحر قال الذنوب قلت
اراد ان الذنب سبب الفساد الذی ظہر وان اراد ان الفساد الذی ظہر ہو الذنوب
نفسہا فیکون قولہ لیذیقہم بعض الذی عملوا لام العاقبۃ والتعلیل وعلی الاول فالمراد
بالفساد النقص والشر والآلام التی یحدثہا اللہ فی الارض بمعاصی العباد فکلما احدثوا ذنبا
احدث لہم عقوبۃ کما قال بعض السلف کلما احدثتم ذنبا احدث اللہ لکم من سلطانہ
عقوبۃ والظاہر واللہ اعلم ان الفساد المراد بہ الذنوب وموجباتہا ویدل علیہ قولہ تعالی
لیذیقہم بعض الذی عملوا فہذا حالنا وانما اذاقنا الشیء الیسیر من اعمالنا فلو اذاقنا کل اعمالنا
لما ترک علی ظہرہا من دابۃ ومن تاثیر معاصی اللہ فی الارض ما یحل بہا من الخسف والزلازل
ویمحق برکتہا وقد مر رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم علی دیار ثمود فمنعہم من دخول دیارہم الا
وہم باکون ومن شرب میاہہم ومن الاستقاء من آبارہم حتی امر ان یعلف العجین الذی
عجن بمیاہہم للنواضح الابل لتاثیر شؤم المعصیۃ فی الماء وکذلک شؤم تاثیر الذنوب فی نقص
الثمار وما تری بہ من الآفات وقد ذکر الامام احمد فی مسندہ فی ضمن حدیث قال وجدت فی خزائن بعض
بنی امیۃ حنطۃ الحبۃ بقدر نواۃ التمرۃ وہی فی صرۃ مکتوب علیہا کان ہذا ینبت فی
زمن العدل وکثیر من ہذہ الآفات احدثہا اللہ سبحانہ وتعالی بما احدث العباد
من الذنوب واخبرنی جماعۃ من شیوخ الصحراء انہم کانوا یعہدون الثمار اکبر مما ہی
الآن وکثیر من ہذہ الآفات التی تصیبہا لم یکونوا یعرفونہا وانما حدثت من قرب

بحر نہر

الذنب

عند المعاصی

۴۸

اقول

بالمجبن للنواضح

زمان

شیخ

تأثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خلق الله آدم وطوله في السماء ستون ذراعا ولم يزل الخلق ينقص حتى الآن فاذا
اراد الله ان يطهر الارض من الظلمة والخونة والفجرة يخرج عبدا من عباده من اهل
بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملا الارض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي
بعث الله به رسوله وتخرج الارض بركاتها وتعود كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون
بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفئام من الناس وهذا لان الارض لما
طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر ولا ريب ان العقوبات
التي انزلها الله في الارض بقيت آثارها سارية في الارض تطلب ما يشاكلها من الذنوب
التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت بها الامم فهذه الآثار في الارض من آثار العقوبات
كما ان هذه المعاصي من آثار الجرائم فتناسبت كلمة الله وحكمه الكوني اولا وآخرا
وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهكذا يحكم سبحانه بين
خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره فانه لما قارن العبد
واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما اثرت طاعته في الارض ما اثرت
نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك
شيء من الروح والرحمة والبركة

٣٩

فصل

ومن عقوباتها انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة
الغريزية لحياة جميع البدن فان الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات
المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد واشرف الناس واعلاهم
قدرا وهمة اشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه
وسلم اغير الخلق على الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا
عنه انه قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان يزني في

ظلم زنا
ليطهر الله سبحانه
عقوبات ذنوب
اشرفهم

عبده او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين
ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
اصلها كراهة القبائح وبغضها وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والاحسان
والله سبحانه مع شدة غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤاخذ
عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه اعذارا
وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال فان كثيرا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة
الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة من غير اعذار منه ومن غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون
له في نفس الامر عذر ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها
قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى عذرا ما ليس بعذر حتى يعتذر كثير منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح على الاطلاق
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله فالتي
يبغضها الله الغيرة من غير ريبة وذكر الحديث وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل
الغيرة ويعذر في موضع العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الكمال كلها كان احق بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي له بل هو كما مدح نفسه واثنى
على نفسه فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته ومن وافق الله في صفة من صفاته
قادته تلك الصفة اليه بزمامه وادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له فانه
سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو احب
اليه من المؤمن الضعيف حيي يحب اهل الحياء جميل يحب اهل الجمال وتر يحب اهل الوتر ولو لم يكن
في الذنوب والمعاصي الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف
بها لكفى بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة تصير ارادة والارادة تقوى
فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج
منها كما يتعذر عليه الخروج من صفاته القائمة به والمقصود انه كلما اشتدت ملابسته للذنوب اخرجت
من قلبه الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح

انه
عبيده
طرق
٥٠
في
القلب

بعد ذلك لا يستقبح لا من نفسه ولا من غيره وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من
هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه
إليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله والجنة عليه حرام
وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك
على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح
فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها
دفع البتة ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فإذا ذهبت
القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس (كمثل)
التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده فإذا تكسرت طمع فيها عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو أصل كل خير وذهابه
51 ذهاب كل خير بأجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الحياء خير كله وقال
إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت وفيه تفسيران أحدهما
أنه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما شاء من القبائح إذ الحامل على
تركها الحياء فإذا لم يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فإنه يواقعها وهذا تفسير أبي عبيدة
والثاني أن الفعل إذا لم تستح منه من الله فافعله وإنما الذي ينبغي تركه ما يستحيى منه
من الله وهذا تفسير الإمام أحمد في رواية ابن هانئ فعلى الأول يكون تهديدا كقوله
اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يكون إذنا وإباحة فإن قيل فهل من سبيل إلى حمله
على المعنيين قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة
ولكن اعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما
انسلخ منه بالكلية حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله
وقبح ما يفعله والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق
في صلاحه مطمع وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيا وقال فديت من لا يفلح والحياء

مشتق من الحيوة والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حيوة الارض والنبات والدواب
وكذلك سميت بالحيوة حيوة الدنيا والآخرة فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي
في الآخرة وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل
منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحى من الله عند معصية استحى الله من عقوبته
يوم يلقاه ومن لم يستح من الله تعالى من معصيته لم يستح الله من عقوبته ✝ ✝ بالمعصية

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره عقوبات الذنوب
في قلب العبد ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرى على
معاصيه وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفوه لا ضعف
عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد
وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرؤن على معاصيه ما قدروه حق قدره وكيف ٥٢
يقدره حق قدره او يعظمه او يكبره او يرجو وقاره ويجله من يهون عليه امره ونهيه هذا من
امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة ان يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله
وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوبة هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته
من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد
لله يحبه الناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته الخلق
يعظم الناس حرماته وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس
حرماته ام كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله
ولا يستخف به الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب
وانه اركس اربابها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه
واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات
له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه
اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا يكرم من اهانه الله او يهن من اكرم يكرمه الله

فصل

ومن عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه
وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك
تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها
من عذابه وما يوجب له الحيوة الابدية وكمال لذتها وسرورها ونعيمها فانساه الله ذلك
كله جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بامره فترى العاصي مهملا المصالح نفسه مضيعا
لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد انفرطت عليه مصالح دنياه
وآخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي سحابة صيف
اوخيال طيف ع احلام نوم اوكظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع * واعظم العقوبات
نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن
والهوان وابخس الثمن فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه
كل الغنى ومنه كل العوض ع من كل شئ اذا ضيعته عوض * وليس في الله ان
ضيعت من عوض * فالله سبحانه يعوض عن كل شئ ما سواه ولا يعوض منه شئ ويغني
عن كل شئ ولا يغني عنه شئ ويمنع من كل شئ ولا يمنع منه شئ ويجير من كل شئ ولا يجير
منه شئ فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع
امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه
ولكن هو الذي ظلم نفسه *

فصل

ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه من ثواب المحسنين فان
الاحسان اذا باشر القلب منعه عن المعاصي فان من عبد الله كانه يراه لم يكن كذلك
الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول

هنالك
لكمال لذتها
لمصالح
٥٣
نفسه
الاثمان
ما من
ليس لله ضيعته عوض
من ذلك

بينه وبين ارادة المعاصي فتفلا عن مواقعتها فاذا خرج من دائرة الاحسان فاته صحبة رفقته الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد الله به خيرا اقره في دائرة عموم المؤمنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه الناس فيها ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة معروضة بعد

فصل

ششم

ومن فاته رفقة المؤمنين وخرج عن دائرة الايمان فاته حسن دفاع الله عن المؤمنين فان الله يدافع عن الذين آمنوا وفاته كل خير رتبه الله في كتابه على الايمان وهو نحو مائة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة ان الله يدافع عن الذين آمنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ومنها سم ٥

موالاة الله لهم ولا يذل من والاه الله قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا ومنها امره ملائكته بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ومنها ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المؤمنين ومنها الرفعة في الدنيا والآخرة يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومنها اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى ملائكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن آمن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها انهم المنعم عليهم الذين امرنا ان نسأل الله ان يهدينا الى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها ان القرآن انما هو هدى لهم وشفاء قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل خير وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئا

يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه فلا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر
عليها خيف عليه ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية ومن هنا اشتد خوف السلف كما [ايضا]
قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله والدار الآخرة او تعوقه او توقفه وتقطعه عن السير [وتقطعه]
فلا تدعه يخطو الى الله خطوة هذا ان لم ترده عن وجهته الى ورائه فالذنب يحجب الواصل
ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنوب
ضعفت تلك القوة التي تسيره فان زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه
والله المستعان فالذنب اما يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف قوته ولا بد
حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم
وهي الهم والحزن والكسل والعجز والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل
اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان
من امر مستقبل يتوقعه احدث الهم وان كان من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل
قرينان فان تخلف العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز
وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم النفع منه ان كان ببدنه
فهو الجبن وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استيلاء
الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال
والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الثمانية كما انها من اقوى
الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الاسباب
الجالبة لزوال نعم الله تعالى وتقدس وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع سخطه

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بسبب
ذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما نزل

بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فاخبر الله تعالى انه لا يغير نعمته التي انعم بها على احد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه
فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء
وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية
والذل بالعز قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك
وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما (عبادي)
اكره الا انتقلت له مما يحب عبيدي الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما اكره فينتقل (ما احب ثم ينتقل)
عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها ❊ فان الذنوب تزيل النعم ❊ وحطها بطاعة رب العباد ❊
فرب العباد سريع النقم ❊ واياك والظلم مهما استطعت ❊ فظلم العباد شديد الوخم ❊ (فيما)
وسافر بقلبك بين الورى ❊ لتبصر آثار من قد ظلم ❊ فتلك مساكنهم بعدهم ❊ (تنفر)
شهود عليهم ولا تتهم ❊ وما كان شيء عليهم اضر ❊ من الظلم وهو الذي قد قصم ❊
فكم تركوا من جنان ومن ❊ قصور واخرى عليهم اطم ❊ صلوا بالجحيم وفات النعيم ❊ (حائر)
وكان الذي نالهم كالحلم ❊

فصل

ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه
الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الآمنين
من عقوبات الدنيا والآخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف من كل جانب (عقوبة)
فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه انقلبت مأمنه مخاوف
فلا تجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء
الطلب وان سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه

وكل مكروه قاصد اليه فمن خاف الله آمنه من كل شئ ومن لم يخف الله اخافه من كل شئ ❊ ومن عقوباتها انها
بين الخلق فخلقوا فان التفاوت للاجرام في قرن ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب
فيجد المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين
نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين واطيب
العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة
لعلم سوء حاله وعظيم غبنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه
من الخوف ❊ اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت واستانس ❊ وسر المسألة ان الطاعة توجب
القرب من الرب سبحانه وكلما اشتد القرب قوي الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما زاد البعد قويت الوحشة
ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي بينهما وان كان ملابسا له قريبا منه
ويجد انسا قويا بينه وبين من يحب وان كان بعيدا عنه والوحشة سببها الحجاب ❊ وكلما غلظ
الحجاب زادت الوحشة فالغفلة توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منها
وحشة الشرك والكفر ولا تجد احدا يلابس شيئا من ذلك الا ويعلوه من الوحشة بحسب
ما لابسه منه فتعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه ❊

فصل

ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه فلا يزال
مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تاثير الذنوب في القلوب
كتاثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب وداؤها ولا دواء لها الا تركها
وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها ولا تصل
الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس
دوائها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم
المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه كذلك يكون
قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم اهلها نعيم البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين
كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة وهذا امر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا

التانس توجب

نظر توقعه

فان

وقريبا

فلهذا

ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلثة كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم
وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واي عذاب
اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه
بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق به واحبه من دون الله فانه
يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله عذب به ثلث مرات في هذه الدار عذبه الله
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من
سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلثة المعارضات
انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجى
عوده والم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة
التي تقطع الاكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان تعمل ٥٨
في ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ ينتقل العذاب
الى نوع هو ادهى وامر فاين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وانسا بربه واشتياقا
اليه وارتياحا بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباه ويقول الآخر
ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الآخر مساكين اهل الدنيا
خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الآخر لو علم الملوك وابناء
الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها
لم يدخل جنة الآخرة فيا من باع حظه الغالي بابخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى انه قد غبن اذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسئل المقومين فيا عجبا من بضاعة السلعة
معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن بيديه
الثمن عن المشتري هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بعتها بغاية الهوان شعر اذا كان
هذا فعل عبد بنفسه * فمن ذا له من بعد ذلك يكرم * ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشاء *

فصل

ومن عقوباتها انها تعمي بصر القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية بصيرة
وقد قال مالك للشافعي رحمهما الله تعالى لما اجتمع به ورأى تلك المخايل اني ارى الله
تعالى قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل
وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط فيه وهو
لا يبصره كاعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عزة السلامة ويا سرعة
العطب ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد منها سواد
بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت ظهرت في البرزخ فامتلأ القبر ظلمة كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور ممتلئة على اهلها ظلمة وان الله ينورها بصلاتي عليهم منورها
فاذا كان يوم المعاد وحشر العباد علت الظلمة الوجوه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير الوجه الاجساد
اسود مثل الحممة فيا لها من عقوبة لا توازن لذات الدنيا باجمعها من اولها الى آخرها
٥٩
فكيف بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في زمن انما هو ساعة من حلم والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتقمعها وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان
الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى قد افلح من كبرها واعلاها بطاعة
الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله واصل التدسية الاخفاء
ومنه قوله تعالى ام يدسه في التراب فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها ويتوارى
من الخلق من سوء ما يأتي به قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة
والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك فهي اذل
شيء واحقره واصغره لله تعالى وبهذا الذل حصل لها هذا العز والشرف والنمو فما صغر
النفس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله

فصل

ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه فهو اسير مسجون

مقيد والأسير أسوء حالاً من أسير أسره أعدى عدو له ولا سجن أضيق من سجن الهوى ولا قيد
أصعب من قيد الشهوة فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد وكيف
يخطو خطوة واحدة وإذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده ومثل
القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوشته الآفات وفي الحديث
الشيطان ذئب الإنسان وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب
فكذا العبد إذا لم يكن عليه حافظ من الله فذئبه مفترسه ولا بد وإنما يكون عليه حافظ من الله
بالتقوى فهي واقية وجنة حصينة بينه وبين ذئبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبات الدنيا والآخرة
وكلما كانت الشاة أقرب من الراعي كانت أسلم من الذئب وكلما بعدت عن الراعي
كانت أقرب إلى الهلاك فأحمى ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي وإنما يأخذ الذئب
القاصي من الغنم وهي أبعد من الراعي وأصل هذا كله أن القلب كلما كان أبعد
من الله كانت الآفات إليه أسرع وكلما اقترب من الله بعدت عنه الآفات والبعد

من الله مراتب بعضها أشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية أعظم
من بعد الغفلة وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله

فصل

ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فإن أكرم الخلق عند الله
أتقاهم وأقربهم منه منزلة أطوعهم له وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده فإذا عصاه
وخالف أمره سقط من عينه فأسقطه من قلوب عباده وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان
عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم أسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري الحال
لا حرمة له فلا فرح له ولا سرور فإن خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح وأين
هذا الألم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة ومن أعظم نعم الله على العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره ولهذا خص أنبياءه
ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب
أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار أي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر
الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل

علیه الصلوٰۃ والسلام حیث قال واجعل لی لسان صدق فی الآخرین وقال سبحانہ وتعالیٰ عنہ ومن بنیہ ووھبنا لھم من رحمتنا وجعلنا لھم لسان صدق علیا وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم ورفعنا لک ذکرک فاتباع الرسل لھم نصیب من ذلک بحسب میراثہم من طاعتہم ومتابعتہم وکل من خالفہم فانہ من ذلک بحسب مخالفتہم ومعصیتہم

فصل

ومن عقوباتھا انھا تسلب صاحبھا اسماء المدح والشرف وتکسوہ اسماء الذم والصغار فتسلبہ اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقی والمطیع والمنیب والولی والورع والمصلح والعابد والخائف والاواب والطیب والرضی ونحوھا وتکسوہ اسم الفاجر والعاصی والمخالف والمسیٔ والمفسد والخبیث والمسخوط والزانی والسارق والقاتل والکاذب والخائن واللوطی والغادر وقاطع الرحم وامثالھا فھذہ اسماء الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد الایمان التی توجب غضب الدیان ودخول النیران وعیش الخزی والھوان وتلک اسماء توجب رضاء الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف المسمی بھا علی سائر انواع الانسان فلو لم یکن فی عقوبۃ المعصیۃ الا استحقاق تلک الاسماء وموجباتھا لکان فی العقل ناہ عنھا ولو لم یکن فی ثواب الطاعۃ الا الفوز بتلک الاسماء وموجباتھا لکان فی العقل امر بھا ولکن لا مانع لما اعطی اللہ ولا معطی لما منع ولا مقرب لمن باعد ولا مبعد لمن قرب ومن یھن اللہ فما لہ من مکرم ان اللہ یفعل ما یشاء

فصل

ومن عقوباتھا انھا تؤثر بالخاصۃ فی نقصان العقل فلا تجد عاقلین احدھما مطیع للہ والآخر عاص الا وعقل المطیع منھما اوفر واکمل وفکرہ اصح ورأیہ اسد والصواب قرینہ ولھذا تجد خطاب القرآن انما ھو مع اولی الالباب والعقول کقولہ فاتقون یا اولی الالباب وقولہ فاتقوا اللہ یا اولی الالباب وقولہ وما یذکر الا اولو الالباب ونظائر ذلک کثیرۃ وکیف یکون عاقلا وافر العقل من یعصی من ھو فی قبضتہ وفی دارہ وھو یعلم انہ یراہ ویشاھدہ فیعصیہ وھو بعینہ غیر متوار عنہ ویستعین بنعمہ علی مساخطہ

ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له وابعاده من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه
له والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه روح رضاه وحبه وقرة العين
بقربه والفوز بجواره والنظر الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف اضعاف ذلك من كرامة
اهل الطاعة واضعاف اضعاف ذلك من عقوبة اهل المعصية فاي عقل لمن آثر لذة ساعة
او يوم او دهر ثم تنقضي كانها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا
والآخرة ولولا العقل الذي تقوم عليه به الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد يكون المجانين احسن حالا منه واسلم
عاقبة فهذا من هذا الوجه واما تاثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا
النقصان لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا ولكن الجائحة عامة والجنون فنون ويا عجبا
لو صحت العقول لعلمت ان الطريق الذي يحصل به اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش
انما هو في رضا من النعيم كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون
وسرور النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحيوة ولذة العيش واطيب
النعيم مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم تف به بل اذا حصل للقلب من ذلك
اليسير نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا اعظم ٦٢
من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم
والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل له على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين
اعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام فالامر كما قال سبحانه ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فلا اله الا الله ما انقص عقل من
باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا

فصل

ومن اعظم عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي
رجاء واي عيش لمن انقطعت عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي

الا غنى له عنه طرفة عين ولا بدل له منه ولا عوض له عنه واتصلت بالاسباب الشر ووصل
ما بينه وبين اعداء عدوه فتولاه عدوه وتخلى عنه وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال وتولاه
من انواع الآلام وانواع العذاب قال بعض السلف رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه
وبين الشيطان فان اعرض الله عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه
الشيطان وقد قال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا يقول سبحانه لعباده انا اكرمت اباكم ورفعت قدره وفضلته على غيره فامرت
ملائكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما وتشريفا فاطاعوني وابى عدوي وعدوه فعصى امري وخرج
عن طاعتي فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذونه وذريته اولياء من دوني فتطيعونه في
معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم اعدا عدو لكم فواليتم عدوي وقد امرتكم بمعاداته
ومن والى اعداء الملك كان هو واعداؤه عنده سواء فان المحبة والطاعة لا تتم الا بمعادات
٦٣ اعداء المطاع وموالات اوليائه واما ان توالي اعداء الملك ثم تدعي انك موال له فهذا
محال هذا ولو لم يكن عدو الملك عدو الكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة والعداوة التي بينكم وبينه اعظم
من العداوة التي بين الشاة وبين الذئب فكيف يليق بالعاقل ان يوالي عدوه وعدو
وليه ومولاه الذي لا مولى له سواه ونبه سبحانه على قبح هذه الموالات بقوله وهم لكم عدو
وكما نبه على قبحها بقوله تعالى ففسق عن امر ربه فتبين ان عداوته لربه وعداوته لنا كل
منهما سبب يدعو الى معاداته فما هذه الموالات وما هذا الاستبدال بئس للظالمين بدلا
ويشبه ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيفا عجيبا وهو اني عاديت العتاب
ابليس اذ لم يسجد لابيكم آدم مع ملائكتي فكانت معاداته لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعادات
ان عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة

فصل

ومن عقوباتها انها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة انها تمحق بركة الدين
والدنيا فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة من الارض

الا بمعاصي الخلق قال الله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث ان روح القدس نفث
في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب فانه لا ينال
ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم الفرح
والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر الذي ذكره احمد في كتاب الزهد انا الله اذا
رضيت باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع انتهى
من الولد وليست سعة الرزق والعمل بكثرته ولا طول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن
سعة الرزق والعمر بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر العبد هو مدة حياته ولا حيوة لمن اعرض عن
الله واشتغل بغيره بل حيوة البهائم خير من حياته فان حيوة الانسان بحيوة قلبه وروحه
ولا حيوة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة اليه والطمانينة بذكره والانس ٦٤
بقربه ومن فقد هذه الحيوة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض في الدنيا بل ليست الدنيا باجمعها عوضا عن هذه الحيوة
فمن كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات تكيف
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق
ومن لا وجود له ولا شيء له من ذاته البتة عمن غناه وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم
ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والارض وانما كانت
معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان موكل بها وباصحابها فسلطانه المحق
عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله واصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه حوالته يقارنه
فبركته ممحوقة ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع
لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها
وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكلما نسب اليه مبارك فكلامه مبارك ورسوله مبارك وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك وبيته
الحرام مبارك وكنانته من ارضه وهي الشام ارض البركة وصفها بالبركة في ست آيات

مباركى يعني
لا يكون عن
نسب

من كتابه فلا يبارك الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه اعني الى محبته والوهيته
ورضاه والا فالكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعده من نفسه من الاعيان والاقوال والاعمال
فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان منه قريبا من ذلك ففيه من البركة على قدر قربه منه وضد
البركة اللعنة فارض لعنها الله او شخص لعنه الله او عمل لعنه الله ابعد شيء من الخير والبركة وكل ما
اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدوه ابليس
وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به
فمن هاهنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله
فيه او مال عصي الله به او بدن او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس له من
عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما اطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في
هذه الدار مائة سنة او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين سنة او نحوها كما ان منهم
من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الف
65
درهم او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله عز وجل وما والاه او عالم ومتعلم وفي اثر آخر الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد ان كان مهيأ لان يكون من العلية
فان الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين
مستقر السفلة وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا والآخرة واهل معصيته الاسفلين
في الدنيا والآخرة كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه عليه واهل معصيته اهون
خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء كما في مسند احمد من حديث
عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من
خالف امري وكلما عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزول
حتى يكون من الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع

حتى يكون من الاعلين وقد يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من وجه والنزول
من وجه وايهما كان اغلب عليه كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة
واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض هنا للنفوس غلط عظيم وهو ان العبد قد ينزل نزولا
بعيدا ابعد مما بين المشرق والمغرب ومما بين السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة صعوده
بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
ليتكلم بالكلمة الواحدة ولا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما بين المشرق والمغرب
فاي صعود يوازن هذه النزلة والنزول امر لازم للانسان ولكن من الناس يوازي
من يكون نزوله الى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته او الى ارفع
منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به الاستعانة على
الطاعة فهذا اذا رجع الى الطاعة قد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها وقد يرتفع عنها متى فهذا
فانه قد يعود اعلى همة مما كان وقد يكون اضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم
من يكون نزوله الى معصية اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة
نصوح وانابة صادقة واختلف الناس هل يعود بعد التوبة الى درجته التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا يعود بناء على تمحو
ان التوبة تاثيرها في اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته فانه لا يصل اليها قالوا وتقرير على
ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود آخر
وارتفاع بجملة اعماله السابقة بمنزلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه وكلما
تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح وربح
بجملة اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا من نزول وكان قبل ذلك
صاعدا من اسفل الى اعلى وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان مرتقيان
في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة واحدة ثم استانف
الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولابد وحكم شيخ الاسلام ابن تيمية بين الطائفتين حكما
مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود الى ارفع من درجته ومنهم من يعود الى

مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته ومنهم من يعود الى درجته قلت وهذا بحسب قدر
التوبة وكمالها وما احدثت المعصية للعبد من الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف
من الله والبكاء من خشية الله وقد تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته
ويصير بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة فى حقه رحمة فانها نفت عنه
داء العجب وخلصته من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خد ضراعته وذله وانكساره على عتبة
باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته الى حفظ سيده له والى
عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قلبه صولة الطاعة وكسرت انفه من ان يشمخ بها او يتكبر
بها او يرى نفسه بها خيرا من غيره واوقفته بين يدى ربه موقف الخطائين المذنبين ناكس
الرأس بين يدى ربه مستحيا خائفا منه وجلا محتقر الطاعة مستعظما المعصية عرف نفسه
بالنقص والذم وربه متفرد بالكمال والحمد والوفى كما قيل ؎ استاثر الله بالوفى وبالحمد
وولى الملامة الرجلا ❊

67

فصل

فاى نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه وراى نفسه دونها ولم يرها اهلا لها
واى نقمة او بلية وصلت اليه راى نفسه اهلا لما هو اكبر منها وراى مولاه قد احسن اليه
اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا ادنى جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله
الجبال الراسيات فضلا عن هذا العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان
مقابلة العظيم الذى لا شئ اعظم منه الكبير الذى لا شئ اكبر منه الجليل الذى لا اجل منه
ولا اجمل المنعم بجميع انواع النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور وافضعها واشنعها فان
مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل احد مومن وكافر
وارذل الناس واسقطهم مروة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات والارض وملك
السموات والارض واله اهل السموات والارض ولولا ان رحمته سبقت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتزلزلت الارض بمن قابله بما لا يليق مقابلته به ولولا حلمه ومغفرته
لزالت السموات والارض من معاصى العباد قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض

ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الآية
باسمين من سمائه وهما الحليم والغفور كيف تجد تحت ذلك انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته
للعصاة لما استقرت السموات والارض وقد اخبر سبحانه عن كفر بعض عباده انه تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقد اخرج الله سبحانه الابوين من الجنة
بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه ولعن ابليس وطرده واخرجه من ملكوت السموات بذنب
واحد ارتكبه وخالف فيه امره ونحن معاشر الحمقا كما قيل ۔ نصل الذنوب الى الذنوب ونرتجي
درك الجنان لذي النعيم الخالد ۔ ولقد علمنا اخرج الابوين من ملكوتها الاعلى بذنب واحد ۔ والمقصود
ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته
وتوهن عزمه وتمرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت ويعود الى مثل عمله فيعود الى درجته هذا كله
اذا كان نزوله الى معصية فان كان نزوله الى امر يقدح في اصل ايمانه مثل الشكوك ٦٨
والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد اسلامه من راسه ۔

فصل

ومن عقوباتها انها تجرئ على العبد ما لم يكن تجترئ عليه من اصناف المخلوقات فتجترئ عليه
الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وانسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ
عليه الشياطين حتى تؤزه الى معصية الله ازا وتجترئ عليه شياطين الانس بما تقدر عليه
من الاذى في غيبته وحضوره وتجترئ عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم
قال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي ودابتي وكذلك
تجترئ عليه اولياء الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه الحدود وتجترئ عليه نفسه
فتتاسد عليه وتصعب عليه فلو اراده بخير لم تطاوعه ولم تنقد له وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى
وذلك لان الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الآمنين فاذا
فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله
يكون اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه وليس شيء يرد عنه فان ذكر الله وطاعته والصدقة

وارشاد الجاهل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه فاذا سقطت القوة غلب وارد المرض وكان الهلاك ولا بد للعبد من شئ يرد عنه فان موجب السيئات والحسنات تتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات كان الرد اقوى كما تقدم فان الله يدافع عن الذين آمنوا والايمان قول وعمل فبحسب قوة الايمان ان تكون قوة الدفع والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تخون العبد احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد محتاج الى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم من قوي على نفسه وارادته فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تتفاوت معارف الناس وهممهم ومنازلهم فاعرفهم من كان عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم من اثر هذه على هذه كما ان اسفههم من عكس الامر والمعاصي تخون العبد احوج ما كان الى نفسه في تحصيل هذا العلم وايثار الحظ الاشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس الادنى المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به وانفع له في الدارين فاذا وقع في مكروه واحتاج الى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الجرب ولزم قرابه بحيث لا ينجذب مع صاحبه اذا جذبه فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه العدو وظفر به كذلك القلب يصدي بالذنوب ويصير مثخنا بالمرض فاذا احتاج الى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئا والعبد انما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها وكذلك النفس فانها تخبث بالشهوات والمعاصي وتضعف اعني النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى وتتاسد وكلما قويت هذه ضعفت هذه فبقي الحكم والتصرف للامارة وربما ماتت نفسه المطمئنة موتا لا يرجى معه حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير حي في الآخرة حياة ينتفع بها بل حياته حياة يدرك بها الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع في شدة او كربة او بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شئ له فلا ينجذب قلبه

التوكل على الله تعالى والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه ولا يطاوعه لسانه لذكره
وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فلا ينحبس القلب على اللسان بحيث يوثر فيه الذكر ولا ينحبس
اللسان والقلب على المذكور بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب غافل لاه ساه ولو اراد من جوارحه ان
تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي كمن له جند
يدفع عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو يدفعون
عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوف من ذلك وادهى
وامر وهو ان يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله تعالى فربما تعذر عليه امر
النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم قل
لا اله الا الله فقال آه آه لا استطيع ان اقولها وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال شاه رخ
غلبتك ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال ؎ يا رب قائلة يوما وقد تعبت * غلبتك
اين الطريق الى حمام منجاب ثم قضى وقيل لآخر ذلك قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتنا
تنتنا فقال وما ينفعني ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال وما
يغني عني وما اعلم اني صليت لله تعالى صلوة ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل اخرى
لآخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها فلساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض
الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فلس لله فلس حتى قضى واخبرني بعض التجار
عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة
هذا مشتري جيد هذه كذا حتى قضى فسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى
عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته
وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من المعاصي وقد اغفل قلبه فيما يستعمله الشيطان
عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه من ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند
سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزع وجمع الشيطان له كل
قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك آخر العمل فاقوى ما يكون
عليه شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن ترى يسلم على ذلك

فهنالک يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فی الحيوة الدنيا وفی الآخرة ويضل
الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فکيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه
قلبه عن ذکره واتبع هواه وکان امره فرطاً فبعيد من قلب بعيد من الله تعالی غافل عنه
متعبد لهواه مصير لشهواته ولسانه يابس من ذکره وجوارحه معطلة من طاعته مشتغلة بمعصيته
الله ان يوفق لحسن الخاتمة ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وکان المسيئين الظالمين
قد اخذوا توقيعاً بالايمان ام لکم ايمان علينا بالغة الی يوم القيمة ان لکم لما تحکمون سلهم
ايهم بذلک زعيم يا امنا من قبيح الفعل يصنعه ✦ هل اتاک توقيع ام انت تملکه ✦
جمعت شيئين امنا واتباع هوی ✦ هذا واحدهما فی المرء تهلکه ✦ والمحسنون علی درب
المخاوف قد ✦ ساروا وذلک درب لست تسلکه ✦ فرطت فی الزرع وقت البذر
من سفه ✦ فکيف عند حصاد الناس تدرکه ✦ هذا وابجب شيء منک زهدک فی ✦ دار البقاء
لعيش سوف تترکه ✦ من السفيه اذاً بالله انت ام المغبون فی البيع غبناً سوف تدرکه ✦

اسير عن
الخاتمة الحسنی قلبه

نیک

فصل

ومن عقوباتها انها تعمی القلب فان لم تعمه اضعفت بصيرته ولابد وقد تقدم بيان
انها تضعفه ولابد فاذا اعمی القلب وضعف فاته من معرفة الهدی وقوته علی تنفيذه
فی نفسه وفی غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته فان کمال الانسان مداره فی اصلين معرفة
الحق من الباطل وايثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالی فی الدنيا
والآخرة الا بقدر تفاوت منازلهم فی هذين الامرين وهما اللذان اثنی الله بهما سبحانه
علی انبيائه عليهم الصلوة والسلام فی قوله تعالی واذکر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولی الايدی والابصار فالايدی القوة فی تنفيذ الحق والابصار البصائر فی الدين فوصفهم
بکمال ادراک الحق وکمال تنفيذه وانقسم الناس فی هذا المقام اربعة اقسام فهؤلاء
اشرف الاقسام من الخلق واکرمهم علی الله تعالی القسم الثانی عکس هؤلاء من لا بصيرة
له فی الدين ولا قوة علی تنفيذ الحق وهم اکثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذی للعيون وحمی
الارواح وسقم القلوب يضيقون الديار ويغلون الاسعار ولا يستفاد من صحبتهم الا العار

بالحق والشنار القسم الثالث من له بصيرة في الهدي ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة على تنفيذه
ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير واحب الى الله منه
القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين اولياء
الرحمن من اولياء الشيطان بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة يحسب الورم
شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح للامامة في الدين ولا هو موضعا لها
سوى القسم الاول قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون فاخبر سبحانه ان بالصبر واليقين نالوا الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم
الله سبحانه من جملة الخاسرين واقسم بالعصر الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين
على ان من عداهم فهو من الخاسرين فقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة
٧٢ الحق والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده اليه ويحثه عليه فاذا كان من عدا
هؤلاء فهو من الخاسرين فمعلوم ان المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك
الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى
ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا
فيرجع والمنكر معروفا فينتكس في سيره ويرجع عن سفره الى الله والدار الآخرة
الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحيوة الدنيا
واطمأنت بها وغفلت عن الله وآياته وتركت الاستعداد للقائه ولو لم يكن في
عقوبة الذنوب الا هذه وحدها لكانت كافية داعية الى تركها والبعد منها والله المستعان
وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمرآة المجلوة
في جلائها وصفائها فيمتلئ نورا فاذا دنى الشيطان منه اصابه من نوره ما يصيب مسترق
السمع من الشهب الثواقب فالشيطان يفرق من هذا القلب اشد من فرق
الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعا فيجتمع عليه
الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شأنه فيقال اصابه انسي وبه نظرة من الانس

سه فيا نظرة من قلب حر منور * يكاد لها الشيطان بالنور يحرق * افيستوي هذا القلب بها
وقلب مظلم ارجاؤه مختلفة اهواؤه قد اتخذه الشيطان وطنه واعده مسكنه اذ اصبح بلا
حيوة وقال فدیت من لايفلح في دنياه ولا في اخراه سه انا قرينك في الدنيا وفي محشر
فانت قرين لي بكل مكان * فان كنت في دار الشقا فانني * وانت جميعا في شقاء وهوان وانت
قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه ان من عشى واخبر
عن ذكره وهو كتابه الذي انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وبارك فيه فاعرض عنه انزله
وعمي عنه وعشت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا عقوبة
له في اعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه لا في الاقامة ولا في المسير ومولاه وعشيره الذي باعراضه
هو بئس المولى وبئس العشير سه رضيعي لبان ثدي ام تقاسما * باسحم داج عوض لا نتفرق *
ثم اخبر سبحانه ان الشيطان ليصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب سه ۲
هذا الضال المضل المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاء القرينان يوم القيمة يقول قال
احدهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني
عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس القرين انت
لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبة حصل بالتأسي نوع تخفيف تخفيف
وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب
وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه معه وان كانت المصائب ؟
في الدنيا اذا عمت صارت سلاة كما قالت الخنساء في اخيها صخر سه ولولا كثرة
الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي * وما يبكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس
عنه بالتأسي * الا يا صخر لا انساك حتى * افارق عيشتي وازور رمسي * فمنع الله
سبحانه هذا القدر من الراحة على اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في عن
العذاب مشتركون *

فصل

ومن عقوباتها انها مدد من الانسان يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه وذلك ان
الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين صاحب ينام ولا ينام عنه ويغفل ولا يغفل
عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته بكل حال ولا يدع امرا يكيده به
يقدر على ايصاله اليه الا اوصله ويستعين عليه ببني جنسه من شياطين الانس وغيرهم من استعان ابيه
شياطين الجن وقد نصب له الحبائل وبغى له الغوائل ومد حوله الاشراك ونصب له بغاه
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتكم ولا يكون حظه الجنة وحظكم
النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم انما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد انّ ما
من رحمة الله بسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان تكونوا شركاءنا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة فبسببه
صالحيهم في الجنة ولما علم سبحانه ان آدم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وسلطوا عليهم امدهم بعساكر وجند
يلقونهم بها وامد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم به واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر
التي هي بالاضافة الى الآخرة كنفس واحد من انفاسها واشترى من المؤمنين انفسهم ۷۷
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد
مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم اخبر انه لا اوفى بعهده منه سبحانه
ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشتري
من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم يديه
من هذا واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم هذا الامر بقوله يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو احب المخلوقات اليه الا
لان الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه
لواء هذا الحرب لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص له

والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند من الملائكة لا يفارقونه له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعقب بعضهم بعضا كلما جاء جند وذهب (ذهب بدله)
جاء بدله آخر يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون
انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الابد ثم ايده سبحانه بجند آخر من وحيه وكلامه فارسل اليه (اتمه)
رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومددا الى مدده وعدة
الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيرا له ومدبرا وبالمعرفة مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان
مثبتا له ومؤيدا وناصرا وباليقين كاشفا له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين ما وعد الله تعالى
اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل يدبر امر جيشه والمعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها (تضع)
ومواضعها اللائقة بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امده سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعته
والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه واقام ملائكته وحملة
عرشه يستغفرون له ويسألون له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه ٧٥
الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال هؤلاء حزب الله وحزب الله هم المفلحون وهؤلاء جنده (حزبي جندي)
وان جندنا لهم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات
فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر
هذا الجهاد الا بهذه الامور الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهو مقاومته ومنازلته فاذا
صابر عدوه احتاج الى امر آخر وهي المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه
العدو ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور يدخل
منه العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا يخلي
مكانها فيصادف العدو والثغر خاليا فيدخل منها فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين والمرسلين صلى الله عليهم وسلم اجمعين واعظم حماية
وحراسة من الشيطان الرجيم وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم احد فدخل منه العدو
فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمودها الذي تقوم به هو تقوى الله فلا ينفع الصبر

ولا المصابرة ولا المرابطة الا بالتقوى ولا التقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الآن
فيك الى التقاء الجيشين واصطدام العسكرين وكيف تتدالى الزمرة ويدال عليك اخرى (اصطفاف ۔ يدال الملك)
اقبل ملك الكفرة بجنوده وعساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امره
نافذ في اعوانه وجنده قد حصنوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته فلم يمكنهم الهجوم (حفوا)
عليه الا بمخامرة بعض امرائه وجنده عليه فسأل عن اخص الجند به واقربهم كنه منزلة
فقيل له هي النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها وما هي
محبوبها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمأنت
اليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها اليكم فاذا
خامرت على القلب وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد
والرجل فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او اسير
او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل منها الى القلب
فتخرجكم منها وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف السرية ووهنها حتى لا تصل الى القلب (٧٩)
فان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور
فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره اعتبارا بل اجعلوا نظره تفرجا واستحسانا وتلهيا فان
استرق نظرة عبرة فافسدوها عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه
واعلق بنفسه واخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت
بني آدم بشيء مثل النظر فاني ابذر به في القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال
اعده وامنيه حتى اقوي عزيمته واقوده بزمام الشهوة الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا (فلا تغفلوا)
امر هذا الثغر وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له مقدار نظرة تدعوك
الى التسبيح الخالق والرازق البديع والتأمل والتمحل صفته وحسن هذه الصورة التي
انما خلقت ليستدل بها الناظر عليه وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق الله
هذه الصور ليحجبها عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا له هذه الصورة (الصورة)
مظهرة من مظاهر الحق ومجلى من مجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد فان لم يقبل

فالقول بالحلول العام والخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير به من اخوان
النصارى فقروه حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد فى الدنيا واصطادوا عليه
الجهال فهذا من اقرب خلفائى واكبر جندى بل انا من جنده واعوانه ✦✦

فصل

ثم امنعوا الثغر الاذن ان يدخل عليه بالفند عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل فانه
خفيف على النفس تستحليه وتستملحه وتخيروا له اعذب الالفاظ واسحرها للالباب امزجوه بما
تهوى النفس مزجا والقوا الكلمة فان رايتم منه اصغاء اليها فزيدوه باخواتها فكلما صادفتم النفوس
منه استحسان شئ فالهجوا له بذكره واياكم ان يدخل من هذا الثغر شئ من كلام الله او كلام
رسوله صلى الله عليه وسلم او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك ودخل شئ من ذلك
فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره والتفكر فيه والعظة به اما بادخال ضده عليه واما بتهويل ذلك
وتعظيمه وان هذا امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها
لا تستقل به ونحو ذلك واما بارخاصه على النفوس وان الاشتغال ينبغى ان يكون بما هو ٧٧
اعلى عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه اكثر واما الحق فهو مهجور والقائل به
معرض نفسه للعدوان ولا ينبغى والربح بين الناس اولى بالايثار ونحو ذلك فيدخلون
الباطل عليه فى كل قالب يقبله ويخف عليه ويخرجون له الحق فى كل قالب يكرهه ويثقل
عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس والتعرض
من البلاء لما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك ويخرجون اتباع السنة يليق
ووصف الرب تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى قالب
التشبيه والتجسيم والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه
ومباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسالنى فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما
وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم به من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم يتوصلون
الى نفى ما وصف به نفسه بهذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التى نطق بها

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون هذا التعطيل في
قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشيء بلفظ ويردونه بعينه
بلفظ آخر قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا وهو القول الباطل لان صاحبه يزخرفه
ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان قد لزم ثغر
الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخله بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا عليه من الكلام
ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه
ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون (نسخة: ان)
بايهما ظفرتم احدهما التكلم بالباطل فانما المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر جندكم واعوانكم
الثاني السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ
لكم ناطق وربما كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يمسك عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم بالحق
بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بنو آدم واكبهم منه على
مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا الثغر واوصيكم بوصية
فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة ويكون الآخر على لسان السامع
فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على
الانس بكل طريق وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي
اقسمت به لربهم حيث قلت فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اما تروني
قد قعدت لابن آدم بطرقه كلها فلا يفوتني من طريق الا قعدت له بطريق غيره حتى اصبت منه

حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان الشيطان فقال
قد قعد لابن آدم بطرقه كلها فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دينك ودين فقعد
آبائك فخالفه واسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فخالفه
وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد فتقتل ويقسم المال وتنكح الزوجة فخالفه فجاهد فقعد يقسم
فهكذا اقعدوا لهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق فاقعدوا له على طريق الصدقة فقولوا له في
نفسه اتخرج المال فتبقى مثل هذا السائل وتصير بمنزلته انت وهو سواء او ما سمعتم ما القيته على لسان رجل سأله آخر ان القيت
يتصدق عليه فقال هي اموالنا اذا اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا له بطريق الحج فقولوا له الطريقة مخوفة مشقة ان
يتعرض سالكها لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا له على سائر طرق الخير بالتنفير منها
وذكر صعوبتها وآفاتها ثم اقعدوا على المعاصي فحسنوها في عين بني آدم وزينوها في قلوبهم
واجعلوا اكبر اعوانكم على ذلك النساء فمن ابوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا
ثغر اليدين والرجلين فامنعوها ان تبطش بما يضركم او تمشي فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم على
لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا بها وامدوها واستمدوا منها 79
وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة فاجتهدوا في كسرها وابطال قواها ولا سبيل الى
ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطعت موادها وقويت مواد النفس الامارة وطاعت
لكم اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا مكانه النفس فانها
لا تأمركم الا بما تهوونه وتحبونه ولا تجيئكم بما تكرهونه البتة مع انها لا تخالفكم في شيء تشيرون به مما
عليها بل اذا اشرتم عليها بشيء بادرت الى فعله فان احسستم من القلب منازعة الى
مملكته واردتم الامن من ذلك فاعقدوا بينه وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجملوها
واروه اياها في احسن صورة عروس توجد وقولوا له ذق حلاوة طعم هذا الوصال والتمتع بهذه
العروس كما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم وازن بين لذة
هذه المسالمة ومرارة تلك المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وينقضي
وانما هو حرب متصل بالموت وقواك تضعف عن حرب دائم واستعينوا يا بني بجندين
عظيمين لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالى

والدار الآخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ من تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب
اذا غفل عن الله تعالى تمكنتم منه ومن اعوانه والثاني جنده الشهوة فزينوها في قلوبهم
وحسنوها في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكرين فليس لكم في بني آدم ابلغ منهما
واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة واقرنوا بين الغافلين ثم استعينوا
بهما على الذاكر ولا يغلب واحد خمسة فان مع الغافلين شيطانين صاروا اربعة وشيطان
الذاكر معهم واذا رأيتم جماعة مجتمعين على ما يضركم من ذكر الله ومذاكرة امره ونهيه ودينه
ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم ببني جنسهم من الانس البطالين فقربوهم منه وشوشوا عليهم
بهم وبالجملة فاعدوا الامور اقرانها وادخلوا على كل واحد من بني آدم من باب ارادته
وشهوته فساعدوه عليها وكونوا له اعوانا على تحصيلها واذا كان الله قد امرهم ان يصبروا انّ
لكم ويصابروكم ويرابطوا عليكم الثغور فاصبروا انتم وصابروا ورابطوا عليهم بالثغور
وانتهزوا فرصكم فيهم عند الشهوة والغضب فلا تصطادوا ابن آدم في اعظم من هذين
الموطنين واعلموا ان منهم من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ۸۰
ضعيف مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب ومنهم من يكون سلطان
الغضب عليه اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة عليه ولا تعطلوا ثغرها فان من لم يملك
نفسه عند الغضب فانه بالحري ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بين غضبه وشهوته
وامزجوا احدهما بالآخر وادعوه الى الشهوة من باب الغضب والى الغضب من
طريق الشهوة واعلموا انه ليس لكم في بني آدم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما
اخرجت ابويهم من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فبه
قطعت ارحامهم وسفكت دماءهم وبه قتل احد ابني آدم اخاه واعلموا ان الغضب
جمرة في قلب ابن آدم والشهوة نار تثور من قلبه وانما تطفى النار بالماء والصلوة
والذكر والتكبير واياكم ان تمكنوا ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلوة فاياكم
فان ذلك يطفئ عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك وقال ان
الغضب جمرة في قلب ابن آدم اما رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخ اوداجه فمن

احسن من ذلک فلیتوضأ وقال لہم انما تطفی النار الماء وقد اوصاہم اللہ ان یستعینوا علیکم بالصبر والصلوۃ فحولوا بینہم وبین ذلک وانسوہم ایاہ واستعینوا علیہم بالشہوۃ والغضب وابلغ اسلحتکم فیہم وانکاہا الغفلۃ واتباع الہوی واعظم اسلحتہم فیکم وامنع حصونہم ذکر اللہ ومخالفۃ الہوی فاذا رایتم الرجل مخالفا لہواہ فاہربوا من ظلہ ولا تدنوا منہ والمقصود ان الذنوب والمعاصی سلاح ومدد یمد بہا العبد اعداءہ ویعینہم بہا علی نفسہ فیقاتلونہ بسلاحہ والجاہل یکون معہم علی نفسہ وہذا غایۃ الجہل قال ما یبلغ الاعداء من جاہل ما یبلغ الجاہل من نفسہ

ومن العجائب ان العبد یسعی بنفسہ فی ہوان نفسہ وہو یزعم انہ لہا مکرم ویجتہد فی حرمانہا اعلی حظوظہا واشرفہا وہو یزعم انہ یسعی فی حظہا ویبذل جہدہ فی تحقیرہا وتصغیرہا وتدسیتہا وہو یزعم انہ یسعی فی صلاحہا واعلائہا ورفعہا وتکبیرہا وکان بعض السلف یقول فی خطبتہ الا رب مہین لنفسہ وہو یزعم انہ لہا مکرم ومذل لنفسہ وہو یزعم انہ لہا معز ومصغر لنفسہ وہو یزعم انہ لہا مکبر ومضیع لنفسہ وہو یزعم انہ مراع لحقہا وکفی بالمرء جہلا ان یکون مع عدوہ علی نفسہ یبلغ منہا بفعلہ ما لا یبلغہ عدوہ واللہ المستعان ۞

فصل

۸۱ ومن عقوباتہا انہا تنسی العبد نفسہ فاذا نسی نفسہ اہملہا وافسدہا واہلکہا فان قیل کیف ینسی العبد نفسہ واذا نسی نفسہ فای شیء یذکرہ وما معنی نسیانہ نفسہ قیل نعم ینسی نفسہ اعظم نسیان قال تعالی ولا تکونوا کالذین نسوا اللہ فانساہم انفسہم اولئک ہم الفاسقون فلما نسوا ربہم سبحانہ نسیہم وانساہم انفسہم کما قال تعالی نسوا اللہ فنسیہم فعاقب سبحانہ من نسیہ عقوبتین احداہما انہ سبحانہ نسیہ والثانیۃ انہ انساہ نفسہ ونسیانہ سبحانہ للعبد اہمالہ وترکہ وتخلیہ عنہ واضاعتہ فالہلاک ادنی الیہ من الید للفم واما انساؤہ نفسہ فہو انساؤہ لحظوظہا العالیۃ واسباب سعادتہا وفلاحہا واصلاحہا وما یکملہا فینسیہ ذلک کلہ جمیعہ فلا یخطرہ ببالہ ولا یجعلہ علی ذکرہ ولا یصرف الیہ ہمتہ فیرغب فیہ فانہ لا یمر ببالہ حتی یقصدہ ویؤثرہ وایضا فینسیہ عیوب نفسہ ونقصہا وآفاتہا فلا یخطر ببالہ ازالتہا واصلاحہا وایضا فینسیہ امراض نفسہ وقلبہ وآلامہا فلا یخطر بقلبہ مداواتہا ولا السعی فی ازالۃ عللہا وامراضہا التی تؤول بہا الی الفساد والہلاک فہو مریض مثخن بالمرض ومرضہ مترام بہ الی التلف ولا یشعر بمرضہ ولا یخطر ببالہ مداواتہ وہذا من اعظم العقوبۃ العامۃ والخاصۃ فای عقوبۃ اعظم من عقوبۃ من اہمل نفسہ وضیعہا ونسی مصالحہا وداءہا ودواءہا واسباب سعادتہا وصلاحہا وفلاحہا وحیاتہا الابدیۃ

فى النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق قد نسوا انفسهم حقيقة وضيعوها
واضاعوا حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر
هذا كل الظهور يوم التغابن يوم يظهر للعبد انه غبن فى العقد الذى عقده لنفسه فى هذه الدار
والتجارة التى اتجر فيها المعاده فان كل احد يتجر فى هذه الدنيا الآخرته فالخاسرون الذين يعتقدون
انهم اهل الربح والكسب اشتروا الحيوة الدنيا وحظهم فيها فاذهبوا طيباتهم ولذاتهم بالآخرة وحظهم
فيها فى حياتهم الدنيا وحظهم فيها ولذاتهم بالآخرة واستمتعوا بها ورضوا بها واطمأنوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها
فباعوا واشتروا واتجروا وباعوا آجلا بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الزهرة
ويقول احدهم خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به فكيف ابيع حاضر النقد اشاهدا فى هذه الدار
بغائب نسيئة فى دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعى الشهوة ومحبة
العاجلة والتشبه ببنى الجنس فاكثر الخلق فى هذه التجارة الخاسرة التى قال الله فى اهلها
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال فيهم فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن فى هذه التجارة فتتقطع
عليهم النفوس حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس وحقيرا بعظيم
وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من اولها الى آخرها حتى نبيع حظنا من الله تعالى والدار الآخرة
بها فكيف بما ينال العبد منها فى هذا الزمن القصير الذى هو فى الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة
له الى دار القرار البتة قال تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم وقال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك
منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وقال تعالى كم لبثتم فى
الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فهذه حقيقة
هذه الدنيا عند موافاة يوم القيمة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه الدار دار الحيوان ودار البقاء

الدار

٨٢

البقاء

رأوا من أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء فاتجروا تجارة الأكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء
من الناس فظهر لهم تغابن بيع تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل أحد في هذه الدنيا بائع مشترٍ
متجر وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم فهذا أول نقد من ثمن هذه التجارة فتاجروا أيها المفلسون ويا من لا يقدر
على هذا الثمن ههنا ثمن آخر فإن كنت من أهل هذه التجارة فأعط هذا الثمن
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون والمقصود أن الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
٨٣ التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل
فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فإنما
عند الله لا ينال إلا بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفة سبباً يجلبه وآفة
تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته فإذا أراد حفظ
نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها
ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعاً لما غاب عنه من أخبار
من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كأنه مستثنى من هذه الجملة
أو مخصوص من هذا العموم وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه وواصل إلى الخلق
لا إليه فأي جهل أبلغ من هذا وأي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي الكبير

فصل

ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه وانصح الخلق له وانفعهم له ومن سعادته في قربه
منه وهو الملك الموكل به وتدني منه عدوه واغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان
فان العبد اذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه يتباعد منه بالكذبة
الواحدة مسافة بعيدة وفي بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو
اكبر من ذلك وافحش منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض الى الله وهربت
الملائكة الى ربها وشكت اليه عظم ما رأت وقال بعض السلف اذا اصبح ابن آدم ابتدره
الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان
افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد
حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند مبعثه
قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة واذا تولاه الملك تولاه انصح الخلق له وانفعهم وابرهم له فثبته وعلمه وقوى
جنانه وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ويقول
الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك ويثبته بالقول الثابت
احوج ما يكون اليه في الحيوة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسألة فليس احد انفع
للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته وعند موته وفي قبره ومؤنسه
في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه في سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه
ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما جاء في الاثر الذي يروى
مرفوعا وموقوفا ان للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب
الملك من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه القول السديد واذا ابعد منه وقرب
الشيطان من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل

النفع النصح اليه

مقدار بعده

علية قول الحق اشتد

يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة
تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وكان احدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح
فيقول ما القاها على لسانك الا الملك ويسمع عندها فيقول ما القاها على
لسانك الا الشيطان فالملك يلقي في القلب الحق ويلقيه على اللسان والشيطان
يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان فمن عقوبة المعاصي انها تبعد من العبد
وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته وتدني منه عدوه الذي شقاه وهلاكه
وفساده في قربه وموالاته حتى ان الملك لينافح عن العبد ويرد عنه اذا سفه عليه السفيه
وسبه كما اختصم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فجعل احدهما يسب الآخر
وهو ساكت فتكلم بكلمة يرد بها على صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله لما رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك
فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس واذا دعا العبد المسلم في ظهر الغيب
لاخيه امن الملك على دعائه فقال ولك بمثل ذلك واذا فرغ من قراءة الفاتحة امنت
على دعائه فاذا اذنب العبد الموحد المتبع سبيله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
استغفر له حملة العرش ومن حوله واذا نام العبد المؤمن بات في شعاره ملك فملك
المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع عنه ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من الآدميين والاحسان
الى الجار من لزوم الايمان وموجباته فما الظن باكرام اكرم الاضياف وخير الجيران
وابرهم واذا اذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه
وقال لا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان قال بعض الصحابة
رضي الله عنهم ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم واكرموهم والا لام ممن لا يستحيي
من الكريم العظيم القادر ولا يكرمه ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اي استحيوا من هؤلاء الحافظين
الكرام واكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيون ان يريكم عليه من مثلكم والملائكة

نسخة: عندها
نسخة: بظهر
٨٥
نسخة: وقال الملك
نسخة: على وضوء
نسخة: يطرده
نسخة: يجله
نسخة: من هو

فانّ

تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم واذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه وان كان
قد يعمل مثل عمله فما الظن باذى الملائكة الكرام الكاتبين والله المستعان ؎

فصل

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب هي امراض القلوب
متى استحكمت قتلت ولا بد كما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول
ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة
تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية منه وحميته يستخرج
توجب له حفظ صحته ويجتنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى
اسم يتناول لهذه الامور الثلثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب متناول لهذه
مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتستوجب التخليط المضاد للحمية ٨٦
وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد
المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل ؎
جسمك بالحمية حصنته ❊ مخافة من الم طارئ ❊ وكان اولى بك ان تحتمي ❊ من المعاصي حصنته
خشية الباري ❊ فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ النار
التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا والله المستعان

فصل

فان لم تزعك هذه العقوبات ولم تجد لها تاثيرا في قلبك فاحضر العقوبات الشرعية
التي شرعها الله ورسوله على الجرائم كما قطع السارق في ثلثة دراهم وقطع اليد والرجل
على قطع الطريق على معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط على كلمة قذف المحصن
او قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة اشنع قتلة في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف
هذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الاحصان بمائة جلدة وينفى سنة عن وطنه وبلده
الى بلد الغربة وفرق بين راس العبد وبدنه اذا وقع على ذات محرم او ترك الصلوة

المفروضة او تكلم بكلمة الكفر وامر بقتل من وطی ذات محرم وقتل المفعول به وامر بقتل من اتی
بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلوة في الجماعة وغير
ذلك من العقوبات التي رتبها الله على الجرائم وجعلها بحكمته على حسب الدواعي
الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنها طبعيا وليس في الطباع داعيا اليه اكتفى بالتحريم مع
التعزير ولم يرتب عليه حدا كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع
داعيا اليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داعي الطبع اليه ولهذا لما كان
داعي الطباع الى الزنا من اقوى الدواعي كانت من عقوبته العظمى من اشنع القتلات
واعظمها وعقوبته السهلة اعلى انواع الجلد مع زيادة التعذيب ولما كان اللواطة فيها الامران
كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد
وتامل حكمته في افساد العضو الذي باشر به الجناية كما افسد على قاطع الطريق يده ورجله
اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف لسانه الذي جنى به اذ مفسدة قطعه تزيد على
۸۷ مفسدة الجناية ولا يبلغها فاكتفى من ذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على
الزاني فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجناية
اذ فيه قطع النسل وتعريضه للهلاك الثاني ان الفرج عضو مستور لا يحصل بقطعه مقصود
الحد من الردع والزجر لامثاله من الجناة بخلاف قطع اليد الثالث انه اذا قطع يده ابقى له
يدا اخرى تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن
ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها ببضعة منه فعقوبات الشارع
جاءت على اتم الوجوه واوفقها للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب انما
ترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يجمعهما الله للعبد وقد يرفعهما عمن تاب واحسن

فصل

وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات
القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى يجمع على عبده بين العقوبتين الا اذا لم يف
احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف في زوال دائه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية

وربما كانت اشد من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية تخص فان الرب
تبارك وتعالى لا يعاقب شرعاً الا من باشر الجناية او تسبب اليها واما العقوبة
القدرية فانها تقع عامة وخاصة فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا
اعلنت ضرت الخاصة والعامة واذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره
اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله
سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع لها وجعلها سبحانه ثلثة انواع القتل
والقطع والجلد وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواطة فان هذا
يفسد الاديان وهذا يفسد الانساب قال الامام احمد رحمه الله لا اعلم بعد القتل
ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول الله اي
الذنب اعظم قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم اي قال ان
تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة
جارك فانزل الله تصديقها في كتابه والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر من
كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد
لله نداً واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه واعظم
انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما
انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج اعظم اثماً وعقوبة من التي لا زوج لها والزنا
اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه
وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثماً وجرماً من الزنا بغير ذات البعل فان كان الزوج
زوجها جاراً له انضاف الى ذلك سوء الجوار وايذاء جاره باعلى انواع الاذى وذلك
من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
من لا يأمن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنا بامرأته فالزنا بمائة امرأة لا زوج لها

ايسر عند الله من الزنا بامرأة الجار فان كان الجار اخا او قريبا من اقاربه انضم الى ذلك
تتضاعف — قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا في طاعة الله كالصلوة وطلب العلم
والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامرأة الغازي في سبيل الله يوقف له يوم
يقال له ما — القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اى
ما ظنكم انه يترك له من حسنات قد حكم في ان يأخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى حسنة
واحدة حيث لا يترك الاب لابنه ولا الصديق لصديقه حقا يجب عليه فان اتفق
ان تكون المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني
محصنا كان الاثم اعظم فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلثة الذين لا يكلمهم الله يوم
القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام
او وقت معظم عند الله كاوقات الصلوة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى هذا
فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان

٨٩

فصل

وجعل سبحانه القطع بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه فان السارق لا يمكن الاحتراز منه
التي — لانه يأخذ الاموال في الاختفاء وينقب الدور ويتسور من غير الابواب فهو كالسنور والحية التي تدخل عليك
رفعت — من حيث لا تعلم فلم ترتفع مفسدة سرقته الى القتل ولا تندفع بالجلد فاحسن ما دفعت
يتسلط — به مفسدته ابانة العضو الذي تسلط به على الجناية وجعل الجلد بازاء افساد العقول وتمزيق
الاعراض بالقذف فدارت عقوباته سبحانه الشرعية على هذه الانواع الثلاثة كما دارت
سبحانه جعل — الكفارات على ثلثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم جعل سبحانه الذنوب
ثلثة اقسام قسما فيه الحد فهذا لم يشرع فيه كفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يترتب عليه حد
فشرع فيه الكفارة كالوطء في نهار رمضان والوطء في الاحرام والظهار وقتل الخطأ
والحنث في اليمين وغير ذلك وقسما لم يترتب عليه حد ولا كفارة وهو نوعان احدهما
معه — ما كان الوازع عنه طبعيا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثاني ما كانت مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب
عليه الحد كالنظرة والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارات

في ثلاثة أنواع أحدها ما كان مباح الأصل ثم عرض تحريمه فباشره في الحالة التي عرض
فيها التحريم كالوطء في الإحرام والصيام وطرده الوطء في الحيض والنفاس بخلاف الوطء
في الدبر ولهذا كان إلحاق بعض الفقهاء له بالوطء في الحيض لا يصح فإنه لا يباح في
وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب المسكر النوع الثاني ما عقده لله من نذر
أو بالله من يمين أو حرمه الله ثم أراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها تحلة
وليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فإن
الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وقد يكون مباحا وإنما الكفارة حل لما عقده
هناك — النوع الثالث ما تكون فيه جابرة لما فات ككفارة قتل الخطأ وإن لم يكن هناك
إثم وكفارة قتل الصيد خطأ وإن لم يكن هناك إثم فإن ذلك من باب الجوابر
والنوع الأول من باب الزواجر والنوع الوسط من باب التحلة لما منعه العقد ولا يجتمع
الحد والتعزير في معصية بل إن كان فيها حد اكتفي به وإلا اكتفي بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة
٩٠ في معصية بل كل معصية فيها حد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها
فيه وجهان وهذا كالوطء في الإحرام والصيام ووطء الحائض إذا أوجبنا فيه الكفارة فقيل يجب
فيه التعزير لما انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة لأنها جابرة وماحية

فصل

وأما العقوبات القدرية فهي نوعان نوع على القلوب والنفوس ونوع على الأبدان
فالتي — والأموال والتي على القلوب نوعان أحدهما آلام وجودية يضرب بها القلب والثاني
قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه وإذا قطعت عنه حصل له أضدادها وعقوبة القلوب
أشد العقوبتين وهي أصل عقوبة الأبدان وهذه العقوبة تقوى وتتزايد حتى تسري
من القلب إلى البدن كما يسري ألم البدن إلى القلب فإذا فارقت النفس البدن
وظهرت علانية — صار الحكم متعلقا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت علانية ظاهرة وهي المسماة بعذاب القبر
ونسبته إلى البرزخ كنسبة عذاب الأبدان إلى هذه الدار

فصل

والتي على الابدان ايضاً نوعان نوع في الدنيا ونوع في الآخرة وشدتها ودوامها بحسب
مفاسد ما رتبت عليه في الشدة والخفة فليس في الدنيا والآخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها
فالشر اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيئات الاعمال وهما الاصلان اللذان
كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا وسيئات الاعمال من شرور النفس فعاد الشر كله الى شر النفس فان النفوس
سيئات الاعمال من فروعه وثمراته وقد اختلف في معنى قوله ومن سيئات اعمالنا
هل معناه السيء من اعمالنا فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه او يكون بمعنى
من وقيل معناه من عقوباتها التي تسوء فيكون التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوءنا
ويرجح هذا القول ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور الانفس تستلزم
الاعمال السيئة وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور الانفس على ما تقتضيه من قبح
الاعمال واكتفى بذكرها منه اذ هي اصله ثم ذكر غاية الشر ومنتهاه وهو السيئات التي
تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمنت هذه الاستعاذة اصل الشر وفروعه وغايته ومقتضاه 91
ومن دعاء الملائكة للمؤمنين قولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه
متى وقاهم عمل السيء وقاهم جزاء السيء وان كان قوله ومن تق السيئات يومئذ السيئات
فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتهم يومئذ فان قيل فقد سألوه سبحانه ان
يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية العقوبات السيئة فدل على ان المراد بالسيئة التي سألوا بالسيئات
وقايتها الاعمال السيئة ويكون الذي سأله الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يرد على هذا قوله يومئذ فان المطلوب وقاية شرور سيئات الاعمال ذلك اليوم
وهي سيئات في نفسها قيل وقاية السيئات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا
تصدر منه والثاني وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية سؤال الامرين
والظرف تقييد للجملة الشرطية لا بالجملة الطلبية وتأمل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من فالظرف
مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي

استغفارهم وتوسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه تتضمن علمه بذنوبهم
واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم والنفس وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا
وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق بانهم
لابد ان يعصوه وانه يحب العفو والمغفرة وغير ذلك من سعة علمه الذي لا يحيط به احد
سواه وسعة رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احدا من المؤمنين به اهل توحيده ومحبته فانه
واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته وسعت
كل شيء ثم سألوه ان يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه الموصل اليه الذي
هو معرفته ومحبته وطاعته فيما امر وترك ما يكره فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل الذي يحبها ثم سألوه
ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين من اصولهم وفروعهم وازواجهم جنات عدن
التي وعدهم بها وهو سبحانه وان كان لا يخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من جملتها
دعاء الملائكة لهم بان يدخلهم اياها برحمته التي منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملائكته
يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك انت 92
العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك
فان العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى فالعزة
ما يشاء ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر والمقصود
ان عقوبات السيئات تتنوع الى عقوبات شرعية وعقوبات قدرية وهي اما في القلب
واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت وعقوبات يوم عود الاجساد
في الدار الآخرة فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من
العقوبة لانه بمنزلة السكران والمخدر والنائم الذي لا يشعر بالألم فاذا استيقظ وصحى احس العقوبات بالآلام
بالمؤلم فترتب العقوبات على الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار
والاغتراق على الماء وفساد البدن على السموم والامراض لاسباب الجالبة لها وقد
يقارن المضرة للذنب وقد تتأخر عنه اما يسيرا واما مدة كما يتأخر المرض عن سببه او يقارنه
وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه ولا يدري

انه يعمل دعملها على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والاشياء الضارة حذو القذة بالقذة فان
تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا
لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان

فصل

فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الذنوب وجوز وصولها وصول بعضها
اليك واجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق اليك منها طرفا يكفي العاقل لك
مع التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والاقفال
على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع عليها وتقليب الافئدة والابصار
والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر الرب وانساء العبد نفسه وترك ارادة الله الانسان
تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق
وزيادتها مرضا على مرضها واركاسها وانكاسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام احمد عن تكبها ۹۳
حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه قال القلوب اربعة فقلب اجرد فيه سراج يزهر
فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك
قلب المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها ومنها جعل القلب اصم لا يسمع الحق ابكم لا ينطق به
اعمى لا يراه فيصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين اذن
الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس والكلام وبهذا يعلم ان
الصم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح بالعرض والتبعية فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وليس المراد نفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد
قال تعالى ليس على الاعمى حرج وقال عبس وتولى ان جاءه الاعمى وانما المراد
ان العمى التام على الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى البصر بالنسبة اليه كلا عمى حتى في
يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة

واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسئل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه ونظائره
كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم ومنها الخسف
بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا يشعر
وعلامة الخسف به انه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل كما
ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال جوالا حول البر والخير ومعالي الامور
والاعمال والاقوال والاخلاق قال بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما
يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن القلوب
ما يمسخ على قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ على خلق كلب او حمار او حية — نسخة: على الخنازير
او عقرب وغير ذلك وهذا تاويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من يكون على اخلاق السباع العادية ٩٤
ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق الخنازير واخلاق الحمير ومنهم من يتطوس
في ثيابه كما يتطوس الطاوس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومنهم من يؤثر على نفسه
كالديك ومنهم من يألف ويؤلف كالحمام ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي هو خير كله كالغنم
ومنهم اشباه الذباب ومنهم اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها وقد شبه الله تعالى اهل الجهل والغي
بالحمر تارة وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة — نسخة: كما
الظاهرة ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تعلو الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهو المسخ التام فيقلب الله سبحانه — نسخة: تستشنع هذا
وتعالى الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان كما فعل باليهود واشباههم ويفعل
بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فسبحان الله كم من قلب منكوس وصاحبه
لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم من مفتون بثناء الناس عليه ومغرور
بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها
كرامة ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته للمخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته لقلب الزائغ

عن الحق حتى ينتكس القلب حتى يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا
ويفسد ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليها ويشتري الضلالة بالهدى
وهو يرى انه على الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب يتبع
الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة كما قال
تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم
فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين
ربهم فتصل القلوب اليه فتفوز بقربه وكرامته وتقر به عينا وتطيب به نفسا بل كانت الذنوب
حجابا بينهم وبين قلوبهم حجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم ومنها المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة
قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت
المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة الضنك والآية تتناول ما هو اعم
منه وان كانت نكرة في سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب
المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب اعراضه ٩٥
وان تنعم في الدنيا باصناف النعم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب
والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا
والرياسة ان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه
ويصحو وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه الا اذا سكر في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك لا يفيق
لازمة لمن اعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم في دنياه وفي
البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدي القلب ولا تطمئن النفس الا بالهها ومعبودها
الذي هو حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله
تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن آمن بالله وعمل
صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الجزاء في
الدنيا بالحيوة الطيبة والحسنى يوم القيمة فلهم اطيب الحياتين وهم احياء في الدارين ونظير هذا

قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها
قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمّى ويؤت كل
ذي فضل فضله ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة
في الدارين فان طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
ونوره وسعته وعافيته من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه فقد كان
بعض من ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر انه ليمر بالقلب اوقات عاجلة
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال الآخر ان في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة من لم
يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا تظن ان قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلثة وهؤلاء
في جحيم في دورهم الثلثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب وسلامة الصدر 96
ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة الا عيش
القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله عليه السلام بسلامة القلب فقال وان قلبه
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وقال حاكيا عنه انه قال يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل
والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم
من كل شبهة تعارض خبره ومن كل شهوة تعارض امره وسلم من كل ارادة تزاحم مراده وسلم شبهة
من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ
وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة اشياء من شرك يناقض
التوحيد وبدعة تخالف السنة وشهوة تخالف الامر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض
التجريد والاخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة تتضمن
افرادا من الاشخاص لا تنحصر ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه
الصراط المستقيم فليس العبد احوج منه الى شيء منه الى هذه الدعوة وليس شيء انفع له منها

فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وارادة واعمالا وتروكا ظاهرة وباطنة تجري عليه
كل وقت فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر
مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه
وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك وما
تريده قد يفعله وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم بشروط الاخلاص وقد لا يقوم وما يقوم فيه
بشروط الاخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة قد
يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك كله بل متى وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
٩٧ في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء الى صراط مستقيم بفضله ورحمته
وجعل الهداية حيث تصلح ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على صراط
المقصد مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا مستقيما ودعاهم جميعا اليه حجة منه وعدلا
لقائه وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل
عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطا مستقيما
يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام من اقام في الدنيا
وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا
لهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم حتى يقطعوه كما حفظ عليهم
الايمان حتى لقوه واطفأ نور المنافقين احوج ما كانوا اليه كما اطفأه من قلوبهم
في الدنيا واقام اعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما تخطفهم في
الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل سيرهم وسرعتهم على قدر سيرهم وسرعتهم اليه في
الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا يشربون منه بازاء شربهم من شرعه في الدنيا وحرم

من الشرب منه هناك من حرم من الشرب من شرعه ودينه ههنا فنظروا الى الآخرة كأنها رأي عين وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين تعلم حينئذ علماً يقيناً لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وانموذجها وان منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط في الدنيا والآخرة * — نسخة: فانظر

فصل

ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها بعون الله فصلاً وجيزاً جامعاً فنقول اصلها نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله الى ظاهر على الجوارح وباطن في القلوب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق خلقه وان كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقاً للخلق لانه يجب بمطالبتهم ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية وسبعية وبهيمية لا تخرج عن ذلك فالذنوب الملكية ان يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو والظلم واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل في هذا الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك به في اسمائه وصفاته وجعل آلهة اخرى معه وشرك به في معاملته وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره فمن كان من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه وجعل له نداً وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل * — نسخة 98

فصل

واما الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن طاعة الله وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال فهذا النوع يلي النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه

فصل

واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين ويتولد منها انواع اذى النوع الانساني والجرأة على الظلم والعدوان واما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها — نسخة: النظر

يتولد الزنا والسرقة واكل اموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير ذلك وهذا القسم اكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية ومنه يدخلون الى سائر الاقسام فهو يجرهم اليها بزمام فيدخلون منه الى الذنوب السبعية ثم الى الشيطانية ثم الى منازعة الربوبية والشرك فى الوحدانية ومن تامل هذا حق التامل تبين له ان الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته

فصل

وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين بعدهم والائمة على ان من الذنوب كبائر وصغائر قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وهذه الاعمال المكفرة لها ثلث درجات احدها ان تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذى ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية الثانية ان تقاوم الصغائر ولا ترتقى الى تكفير شئ من الكبائر الثالثة ان تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر فتامل هذا فانه يزيل عنك اشكالات كثيرة وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وروى فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربوا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الذنب اكبر عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قيل ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

اعظم نسخه

النفس التی حرم اللہ الا بالحق ولا یزنون الآیۃ واختلف الناس فی الکبائر بل لہا
عدد یحصرہا علی قولین ثم الذین قالوا بحصرہا اختلفوا فی عددہا فقال عبد اللہ
ابن مسعود ہی اربعۃ وقال عبد اللہ بن عمر ہی سبعۃ وقال عبد اللہ بن عمرو بن العاص ہی تسعۃ وقال غیرہ
ہے احدی عشر وقال آخر ہی سبعون وقال ابو طالب المکی جمعتہا من اقوال
الصحابۃ فوجدتہا اربعۃ فی القلب وہی الشرک باللہ والاصرار علی المعصیۃ والقنوط
من رحمۃ اللہ والامن من مکر اللہ واربعۃ فی اللسان وہی شہادۃ الزور وقذف
المحصنات والیمین الغموس والسحر وثلاثۃ فی البطن شرب الخمر واکل مال الیتیم
واکل الربوا واثنتان فی الفرج وہما الزنا واللواطۃ واثنتان فی الیدین وہما القتل
والسرقۃ وواحدۃ فی الرجلین وہی الفرار من الزحف وواحدۃ یتعلق بجمیع الجسد وہی
عقوق الوالدین والذین لم یحصروہا بالعدد منہم من قال کلما نہی اللہ عنہ فی
١٠٠ القرآن فہو کبیرۃ وما نہی عنہ الرسول صلی اللہ علیہ وسلم فہو صغیرۃ وقالت
طائفۃ ما اقترن بالنہی عنہ وعید من لعن او غضب او عقوبۃ فہو کبیرۃ وما لم یقترن
بہ من ذلک شیئ فہو صغیرۃ وقیل کلما رتب علیہ حد فی الدنیا او وعید فی الآخرۃ
فہو کبیرۃ وما لم یرتب علیہ لا ہذا ولا ہذا فہو صغیرۃ وقیل کلما اتفقت الشرائع
علی تحریمہ فہو من الکبائر وما کان تحریمہ فی شریعۃ دون شریعۃ فہو صغیرۃ وقیل کلما
ہی ما لعن اللہ او رسولہ فاعلہ فہو کبیرۃ وقیل کلما ذکر من اول سورۃ النساء الی قولہ
ان تجتنبوا کبائر ما تنہون عنہ نکفر عنکم سیئاتکم والذین لم یقسموا الی کبائر وصغائر قالوا الذنوب
کلہا بالنسبۃ الی الجرأۃ علی اللہ سبحانہ معصیتہ ومخالفۃ امرہ کبائر فالنظر الی من عصی
امرہ وانتہک محارمہ توجب ان تکون الذنوب کلہا کبائر وہی مستویۃ فی ہذہ
المفسدۃ قالوا ویوضح ہذا ان اللہ سبحانہ لا تضرہ الذنوب ولا یتاثر بہا فلا یکون
بعضہا بالنسبۃ الیہ اکبر من بعض فلم یبق الا مجرد معصیتہ ومخالفتہ ولا فرق فی ذلک
بین ذنب وذنب قالوا ویدل علیہ ان مفسدۃ الذنب تابعۃ للجرأۃ والتوثب
علی حق الرب تبارک وتعالی ولہذا لو شرب رجل خمرا او وطی فرجا حراما وہو

لا يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل وبين مفسدة ارتكاب الحرام ولو فعل ذلك من
يعتقد تحريمه لكان اتى باحدى المفسدتين وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فعلم
ان مفسدة الذنب تابعة للجرأة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة
بامر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا فلا ينظر العبد
الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية
وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية ومعصية فان ملكا عظيما مطاعا لو امر احد مماليكه ان يذهب
في مهم له الى بلد بعيد وامر آخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفا امره
لكانا في مقته والسقوط من عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية من ترك الحج من مكة وترك
الجمعة وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية من تركه من المكان البعيد والواجب على هذا
اكثر من الواجب على هذا ولو كان مع رجل مائتا درهم فمنع زكاتها ومع آخر مائتا الف درهم
فمنع زكاتها لاستويا في منع ما وجب عليه كل واحد منهما ولا يبعد استواؤهما في العقوبة اذا كان 101
كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا

فصل

وكشف الغطاء عن هذه المسألة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه وخلق
السموات والارض ليعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله له والطاعة كلها له والدعوة له كما
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق وقال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما وقال تعالى جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم فاخبر سبحانه ان القصد بالخلق والامر ان
يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي
قامت به السموات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط فاخبر سبحانه انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط

العدل وهو العدل ومن أعظم القسط التوحيد بل هو رأس العدل وقوامه وإن الشرك ظلم عظيم كما قال
تعالى إن الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل فما كان أشد منافاة لهذا
المقصود فهو أكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان أشد موافقة لهذا المقصود
فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف
به أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات
والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق
وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد وأن يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا
القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في
الآخرة دعوة أو يقبل له فيها عثرة فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل من خلقه له ندا
وذلك غاية الجهل به كما أنه غاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه
وقد وقعت مسألة وهي أن المشرك إنما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى وأنه لعظمته لا ينبغي
١٠٣ الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية
وإنما قصد تعظيمه وقال إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخلني عليه فهو المقصود وهذه
وسائل وشفعاء فلم كان هذا القدر موجب لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار
وموجبا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم وترتب على هذا سؤال آخر وهو أنه
هل يجوز أن يشرع الله سبحانه لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا
إنما استفيد من الشرع أم ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع أن تأتي به شريعة بل
جاءت بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كل قبيح وما
السبب في كونه لا يغفره من دون سائر الذنوب كما قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتأمل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه
ولا تستهونه فإن به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين
وأهل الجنة وأهل النار فنقول وبالله التوفيق والتأييد ومنه نستمد المعونة والتسديد
فإنه من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما

ومنه الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وافعاله وشرك في عبادته
ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
والشرك الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون اذ
قال وما رب العالمين وقال تعالى مخبرا عنه انه قال وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل
معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق
سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي ترجع اليها هو التعطيل
وهو ثلثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس
بتعطيل اسمائه وصفاته وافعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن
هذا شرك طائفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا شيئان
بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وانه
لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة عندهم الى اسباب ١٠٣
ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه
وافعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ
كمال الذات باسمائها وصفاتها

فصل

النوع الثاني شرك من جعل معه الها آخر ولم يعطل اسماءه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى
الذين جعلوه ثالث ثلثة فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد
حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية القائلين بان
الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وارادته ولهذا
كانوا من اشباه المجوس ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال ابراهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فهذا جعل لنفسه ندا لله تعالى يحيي ويميت بزعمه
كما يحيي الله ويميت فالزمه ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ان طرد قولك ان

لا يقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي ياتي الله بها منها وليس هذا انتقالا كما زعم
بعض اهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا شرك كثير ممن يشرك
بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة
وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده
هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه الى معبوده
اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده
الادنى يقربه الى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة
الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل

فصل

واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امرا فانه يصدر ممن يعتقد انه
لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره ولا رب سواه ولكن لا يخلص
لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة ١٠٤
والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان
نصيب وللخلق نصيب هذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل
قالوا وكيف ننجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا
اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالرياء كله شرك قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
اي كما انه اله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالهية
يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة وكان من
دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا
تجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه
اذا كان العمل واجبا فانه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الامر فان الله سبحانه

انما امر بعبادته خالصة قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن لم
يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شئ غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل شيئا
منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك معي فيه غيري
فهو للذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك ينقسم الى مغفور وغير مغفور واكبر واصغر
والنوع الاول ينقسم الى كبير واكبر وليس شئ منه مغفور فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم
بان يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي
قال سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية وقال اصحاب هذا الشرك
لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم
ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والاماتة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به في الحب والتأله
والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الجهل والظلم فكيف يسوى من خلق من التراب برب الارباب وكيف يسوى
العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات
الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده واحسانه
وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث
عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك
لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيا لك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبحه

فصل

ويتبع هذا الشرك به سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات فالشرك
في الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل
الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود
لها وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله
فيها فكيف بمن اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله وفي الصحيحين عنه انه قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ان من شرار الناس

من تدرکهم الساعة وهم احیاء والذین یتخذون القبور مساجد وفی الصحیح ایضا عنه ان من
کان قبلکم کانوا یتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانی انهاکم عن ذلک
وفی مسند الامام احمد رضی الله عنه وصحیح ابن حبان عنه صلی الله علیه وسلم لعن الله
زوارات القبور والمتخذین علیها المساجد والسرج وقال اشتد غضب الله علی قوم
اتخذوا قبور انبیائهم مساجد وقال ان من کان قبلکم اذا مات فیهم الرجل الصالح بنوا علی
قبره مسجدا او صوروا فیه تلک الصور اولئک شرار الخلق عند الله یوم القیمة فهذا حال
من سجد لله فی مسجد علی قبر فکیف حال من سجد للقبر بنفسه وقد قال النبی صلی الله
علیه وسلم اللهم لا تجعل قبری وثنا یعبد وقد حمی النبی صلی الله علیه وسلم جانب التوحید
اعظم حمایة حتی نهی عن صلوة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا یکون
ذریعة الی التشبیه بعباد الشمس الذین یسجدون لها فی هاتین الحالتین وسد الذریعة
بان منع الصلوة بعد العصر والصبح لاتصال هذین الوقتین بالوقتین الذین یسجد
المشرکون فیهما للشمس واما السجود لغیر الله فقال لا ینبغی لاحد ان یسجد لاحد الا لله ولا
ینبغی فی کلام الله ورسوله صلی الله علیه وسلم للذی هو فی غایة الامتناع شرعا کقوله تعالی وما ینبغی
للرحمن ان یتخذ ولدا او قوله وما علمناه الشعر وما ینبغی له وقوله وما تنزلت به الشیاطین
وما ینبغی له وقوله عن الملائکة ما کان ینبغی لنا ان نتخذ من دونک من اولیاء

فصل

ومن الشرک به سبحانه الشرک به فی اللفظ کالحلف لغیره کما رواه احمد وابو داؤد عنه
صلی الله علیه وسلم انه قال من حلف بغیر الله فقد اشرک وصححه الحاکم وابن حبان
ومن ذلک قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت کما ثبت عن النبی صلی الله
علیه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتنی لله ندا قل ما شاء الله وحده
وهذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشیئة کقوله لمن شاء منکم ان یستقیم فکیف من
یقول انا متوکل علی الله وعلیک وانا فی حسب الله وحسبک وما لی الا الله وانت
وهذا من الله ومنک وهذا من برکات الله وبرکاتک والله لی فی السماء

وانت لي في الارض ويقول والله وحياة فلان ويقول نذرا لله ولفلان وانا تائب لله ولفلان وارجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعله ندا لله بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء بل لعله ان يكون من اعدائه ندا لرب العالمين فالسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال قد عرف الحق لاهله

١٠٧

فصل

واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته والاخلاص ان يخلص لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء

فصل

واذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب الجواب عن السؤال المذكور فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لا اثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فعكس من نكس الله قلبه واعمى عين بصيرته واركسه

بلبسه الامر وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالشرك تشبيه للمخلوق بالخالق في التشبيه
خصائص الالٰهية فان من خصائص الالٰهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء
والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل
من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها بمن له فضلا
الامر كله فازمة الامور كلها بيديه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم يرسلها اليه الرحمة
احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ومن خصائص
الالٰهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب
ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل
والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له
وحده ويمنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد 108
شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا عدل له وذلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالٰهية
العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام
العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه
وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تأتي به شريعة تجلي
من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
وافسدتها عليهم واجتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فارسل
اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله
لنوره من يشاء اذا عرف هذا فمن خصائص الالٰهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به
ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا في جانب التشبيه واما
في جانب التشبه به فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه في المدح والتعظيم والخضوع

والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاءً والتجاءً واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته تعلق
والهيته وهو حقيق بان يهينه غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني
واحداً منهما عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من اشد الناس عذاباً يوم
القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والالهية كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وفي
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منها واكبر والمقصود ان هذا
حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته والهيته
وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا لله وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام ونحوه
وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى الصحيحين عن النبي
بشاهان شاه ملك الملوك ولا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل تسمى بملك الاملاك ١٠٩ الظن
فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك
وحده وهو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره ❊

فصل

اذا تبين هذا فههنا اصل عظيم يكشف سر المسألة وهو ان اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن فهنا
به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض اسماءه وصفاته ولهذا
توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه
قال لقومه ماذا تعبدون ائفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما
ظنكم اي يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم به حين عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه
وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من انه بكل شيء ربوبية

عليم وهو على كل شيء قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على
خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا يخفى عليه خافية
من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من
يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فانهم يحتاج الى من يعرفهم احوال الرعية
وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم والى من يستعطفهم بالشفاعة
فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شيء
الغني عن كل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط بينه وبين
خلقه نقص بحق ربوبيته والٰهيته وتوحيده وظن به ظن سوء وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع تنقص الشيء
في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد
معظم لمعبوده متأله خاضع ذليل له والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال
والتأله والتذلل والخضوع وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره او يشرك
بينه وبينه فيه ولاسيما الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم ١١٠
مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية اي اذا كان احدكم يأنف
ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا به متفرد وهو شركه
الالٰهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصح لسواي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا
عظمني حق عظمتي ولا افردني بما انا متفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره تعظيمي
من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الى قوله لقوي عزيز فما قدر الله حق قدره
من عبد معه غيره من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان يسلبهم الذباب
شيئا مما عليه لم يقدر على الاستعاذة منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة الآية فما قدر من هذا شانه وعظمته حق قدره من اشرك معه في
عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة بل هو اعجز شيء واضعفه فما قدر القوي العزيز
حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى

خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم
باطلا عبثا وكذا ما قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته
واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريده ونفى عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده
من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب
فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون تعالى عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره تعالى
من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله عبده ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة بل هو نفس فعل الرب
جل جلاله فيعاقب عبده على فعله فهو سبحانه الذي جبر العبد عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق
للمخلوق واذا كان من المستقر في الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل او الجاه اليه ثم
عاقبه عليه لكان قبيحا فاعدل العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه
صنع ولا تاثير ولا هو واقع بارادته ولا فعله البتة ثم يعاقبه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء شر
من اشباه قول المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره حق قدره من لم يصنه عن نتن ۱۱۱
ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وتعرج الملائكة والروح وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض
ثم تعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان يانف الانسان بل غيره من الحيوان
ان يكون فيه وما قدر الله حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى
حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به
بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة مجيئه واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور ومجيئه يوم القيمة
لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله التي نفوها وزعموا انهم بنفيها قد قدروه
حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله سبحانه يحل في جميع مخلوقاته او جعله عين هذا جعله
الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل رسله
فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذل اينما ثقفوا رسله الذلة كانوا
وهذا يتضمن غاية القدح في جناب الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب
العالمين انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا طويلا يكذب على الله كل وقت ويقول قال الله كذا وامر بكذا ونهى عن كذا محمد عليه

وينسخ شرائع انبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك
والرب تعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقره ويجيب دعواته ويمكنه ممن يخالفه ويقيم الادلة على صدقه (ويقره يخالفه)
ولا يعاديه احد الا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله وتقريره وتحدث ادلة تصديقه شيئاً بعد شيء
الى يوم القيمة ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه
وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول الجاحدين علواً كبيراً فوازن بين قول هؤلاء
وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين كما قال الشاعر: رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض (تقاسما)
لا نتفرق وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه ومن لم يعصه
طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كل الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف
ذلك فمنعناه للخبر لا لمخالفة حكمته وعدله وقد انكر سبحانه في كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الانكار (حكمته)
وجعل الحكم به من اسوء الاحكام وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث
من في القبور ولا يجمع الخلق ليوم يجازي المحسن فيه باحسانه والمسيء فيه باساءته ويأخذ (خلقه)
للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق في هذه الدار من اجله وفي مرضاته بافضل (۱۱۲)
كرامته ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وكذلك لم
يقدره حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فاهمله
وغفل قلبه عنه وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعة الله فلله الفضلة (طاعته)
من قلبه وعلمه وقوله وعمله وماله وسواه المقدم في ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه
عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
ويستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل ما (يستحيي يستحيي)
عنده وما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقره وان قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد
وبذل النصيحة وقد افرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعد القدر قام قياماً (افرغ)
لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله وبذل له من ماله ما يستحيي ان يواجه به مخلوقاً مثله فهل قدر الله حق قدره من (يستحيي)
هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع
والخوف والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكاً في ذلك لكان ذلك جراءة وتوثباً على محض حقه واستهانة

الشرك بالله بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه فكيف وانما اشرك بمحبة النفس تحل بينه وبين
اليه امورهم عليه واعظمهم عنده هو عدوه على الحقيقة فانه لم يعبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان وهم
يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشركين الى عبادته ويوهمهم انه ملك وكذلك
عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب
وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان
فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وامه
لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من امره بعبادته وعبادة امه
١١٣ ورضيها لهم وامرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فيدل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فما عبد احد من بني آدم غير الله كائنا من كان ما
الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول اغراضه ويستمتع المعبود غرضه
بالعابد في تعظيمه واشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ولهذا قال تعالى
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال
النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى
السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفره بغير التوبة منه وانه يوجب
الخلود في النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع العذاب
لعباده الها غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن يناقض
بالمنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والاجلال ان يأذن في مشاركته في ذلك

او يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فصل

فلما كان الشرك اكبر شىٔ منافاة للامر الذى خلق الله له الخلق وامر لاجله بالامر كان اشد
من اكبر الكبائر عند الله وكذلك الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل
الكتب لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة
على اهل الشرك والكبر لا يدخلها من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فلا

فصل

ويلى ذلك فى اكبر المفسدة القول على الله بلا علم فى اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه كبر
بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا اشد شىٔ منافاة فهو
ومناقضة لكمال من له الخلق والامر وقدح فى نفس الربوبية وخصائص الرب
فان صدر ذلك عن علم فهو عناد اقبح من الشرك واعظم اثما عند الله فان المشرك
المقر بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر بالملك ۱۱۴
للملك ولم يجحد ملكه ولا الصفات التى استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا فى بعض
الامور تقربا اليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به الملك ملكا هذا امر مستقر يتقرب به
فى سائر الفطر والعقول فاين القدح فى صفات الكمال والجحد لها من عبادة
واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما
واجلالا فداء التعطيل هذا الداء العضال الذى لا دواء له ولهذا حكى الله عن فهو
امام المعطلة فرعون انه انكر على موسى ما اخبره به من ان ربه فوق السموات فقال
يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا واحتج الشيخ ابو الحسن الاشعرى
فى كتبه على المعطلة بهذه الآية وقد ذكرنا اللفظ فى غير هذا الكتاب وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة
والجهمية فى اثبات العلو والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان ولما كانت هذه البدع
المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله صلى الله
عليه وسلم عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر ان قصرت عن الكفر وكانت احب

الى ابليس من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية
لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس لعنه الله اهلكت بني آدم
بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه
وان المبتدع ضرره على النوع وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة — اما فضرره
والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح
في اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه

فصل

ثم لما كان الظلم والعدوان منافيان للعدل الذي قامت به السموات والارض وارسل
الله سبحانه رسله صلى الله عليهم وسلم وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كان اي الظلم من اكبر الكبائر — به
عند الله وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه وكان قتل الانسان ولدا — 115 ولده
كالطفل الصغير الذي لا ذنب له وقد جبل الله سبحانه القلوب على محبته ورحمته وعطفها عليه — الطفل
وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة وقتله خشية ان يشاركه في مطعمه ومشربه وماله من — فقتله
اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه اللذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله لذات رحمه — ذا
وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله السعي في ابقائه ونصيحته
ولهذا كان اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا او قتله نبي ويليه من قتل اماما عادلا
او عالما يأمر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله سبحانه وينصحهم في دينهم وقد جعل الله سبحانه
جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود في النار وغضب الجبار ولعنته واعداد العذاب — لعنته
العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا
واختيارا مانعا من نفوذ ذلك الجزاء وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان للسلف
والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا انه حق لآدمي
لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منه بظلامته فلا بد ان يستوفى له في دار العدل قالوا انما استوفا — وما

الوارث فانما استوفى محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه وما ينفع المقتول من
استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه وهذا اصح القولين في المسألة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء
الوارث وهي وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهما ورأت طائفة انه يسقط بالتوبة واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب
الذي قد جناه قد اقيم عليه حده قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وهما اعظم اثما من القتل فكيف تقصر عن محو اثر
القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا اولياءه وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين احرقوا اولياءه وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى
التوبة وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا في
حق القاتل وهي تتناول الكفر فما دونه قالوا وكيف يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد
التوبة هذا معلوم انتفاؤه في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا
يمكن تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم
النفس اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم مقام تسليمه للوارث
والتحقيق في المسألة ان القتل يتعلق به ثلثة حقوق حق لله وحق للمظلوم المقتول
وحق للولي فاذا اسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل وخوفا من الله
وتوبة نصوحا انقطع حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء او الصلح او العفو وبقي حق المقتول يعوضه
الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن ويصلح بينه وبينه فلا يبطل حق هذا ولا تبطل توبة
هذا واما مسألة المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى
الوارث فقد برئ من عهدته في الآخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل
المطالبة لمن ظلمه واخذه باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ وارثه فانه
منعه من انتفاعه به في طول حياته ومات ولم ينتفع به فهذا ظلم لم يستدركه وانما ينتفع به
غيره بادراكه وبنوا هذا على انه لو انتقل من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة
للجميع لانه حق كان يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول
طائفة من اصحاب مالك واحمد وفصل شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال ان تمكن الموروث
من اخذ ماله والمطالبة به فلم ياخذه حتى مات صارت المطالبة به للوارث في الآخرة كما هي
له كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له

بها
شهوة بمحو
اولياءهم
فتنة
التائب وما
للموروث
١١٩
يسقط
بذنب
باخذه
عن رهبة
باستدراكه على انه لو انتقل
الموروث

في الآخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على الوارث (الموروث نسخه)
وتعذر اخذه منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره الذي احرقها غيره وطعامه وشرابه (التي احرقها نسخه)
الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن
تلف على ملكه فينبغي ان يقال فاذا كان المال عقارا او ارضا او اعيانا قائمة باقية (فبقي نسخه)
بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على الغاصب دفعها اليه كل وقت واذا لم تدفع (فاذا نسخه)
اليه اعيان ماله استحق المطالبة بها عند الله تعالى كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا ايضا
قوي لا مخلص منه الا بان يقال المطالبة لهما جميعا كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة (بهما)
استحق كل منهم المطالبة بحصته منه وكما لو استولى على وقف مرتب على البطون فابطل حق (مترتب نسخه)
البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيامة لجميعهم ولم يكن لبعضهم اولى بها من بعض والله اعلم

فصل

ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ١١٧
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم
ان اثم قاتل مائة اعظم اثما عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه
في مقدار الاثم والعقوبة واللفظ لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه وقد قال تعالى
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان هذا المقدار
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن
صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ آخر وصح عنه انه قال من صام رمضان واتبعه
ستا من شوال فكانما صام الدهر وقوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد (بست نسخه)
فكانما قرأ ثلث القرآن ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشياء لم يبلغ ثواب المشبه به (انه)
فيكون قدرهما سواء ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي الفجر والعشاء في جماعة في
قيام الليل منفعة غير التعب والنصب وما اوتي احد بعد الايمان افضل من الفهم (عبد نسخه)

عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فان قيل فعلى اي شيء وقع
التشبيه بين قاتل النفس واحدة وبين قاتل الناس جميعا قيل على وجوه متعددة احدها ان كل واحد منهما عاص
لله ورسوله صلى الله عليه وسلم مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب
من الله ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد لهم عذابا عظيما وان تفاوتت درجات
العذاب فليس اثم من قتل نبيا او اماما عادلا او عالما يأمر الناس بالقسط كمن قتل
من لا مزية له من احاد الناس الثاني انهما سواء في استحقاق ازهاق النفس الثالث
انهما سواء في الجرأة على سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا بغير استحقاق بل على
لمجرد الفساد في الارض ولاخذ ماله فانه يجترئ على قتل كل من ظفر به وامكنه قتله فهو معاد بتجرد
للنوع الانساني ومنها انه يسمى قاتلا او فاسقا او ظالما او عاصيا بقتله
واحدا كما يسمى كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل المؤمنين في
توادهم وتراحمهم وتعاطفهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل عضوا من ذلك الجسد فكانما اتلف سائر الجسد وآلم السهر
جميع اعضائه فمن آذى مؤمنا واحدا فقد آذى جميع المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين فكانما
اذى جميع الناس كلهم فان الله انما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الخفير
ايذاء المخفر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما بغير حق الا كان على ابن آدم الاول كفل النفس
منها لانه اول من سن القتل ولم يجئ هذا الوعيد في اول زان ولا اول سارق ولا اول شارب من سن وما
مسكر وان كان اول المشركين قد يكون اولى بذلك من اول قاتل لانه اول من
سن الشرك ولهذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي الخزاعي يعذب اعظم باعظم
العذاب في النار لانه اول من غير دين ابراهيم عليه السلام وقد قال تعالى ولا تكونوا
اول كافر به اي فيقتدي بكم من بعدكم فيكون اثم كفره عليكم وكذلك حكم من سن سنة
سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده واوداجه تشخب
دما يقول يا رب سل هذا فيما قتلني فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ثم قال ما نسخت هذه الآية ولا بدلت
وأنى له التوبة قال الترمذي هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال أول ما ينتن
من الانسان بطنه فمن استطاع منكم ان لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا
يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه فليفعل وفي جامع الترمذي عن نافع
قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن عند الله
اعظم حرمة منك قال الترمذي هذا الحديث حسن وفي صحيح البخاري ايضا عن ابن عمر قال صحيحه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما
حراما وذكر البخاري ايضا عن ابن عمر قال من ورطات الامور التي لا مخرج لمن اوقع
نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة يرفعه سباب المؤمن فسوق المسلم
وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذه عقوبة قاتل عدو الله اذا كان
119 معاهدا في عهده وامانه فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن واذا كانت امرأة قد دخلت عقوبة
النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا فرآها النبي صلى الله عليه وسلم في النار
والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا حتى مات بغير جرم
وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون على الله من قتل
مؤمن بغير حق

فصل

ولما كانت مفسدة الزنا من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الانساب الفساد من
وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة والبغضاء بين الناس المحرمات
من افساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك خراب العالم
كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه ورسوله
صلى الله عليه وسلم في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم
من الزنا وقد اكد سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في النار في العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد موجب
ذلك بالتوبة والايمان والعمل الصالح وقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلاً فاخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول
حتى عند كثير من الحيوانات كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال الحيوان
رأيت في الجاهلية قردا زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن
غايته بانه ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب في الآخرة
وخزي ونكال ولما كان نكاح ازواج الآباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال انه كان
فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه فقال قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا يتضمن ثلاثة امور من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين ومن ١٢٠
العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة
ومعاناتها ايسر من بعض ذلك ونظير هذا انه ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على
شر ولا خير بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع الا من استثناه بعد
ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وامر الله تعالى نبيه ان يأمر المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان يعلمهم انه
مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما كان مبدأ ذلك
من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان الحوادث مبدأها
من النظر كما ان معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة
ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه اللحظات والخطرات
واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه على هذه الابواب
الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما

فصل

واكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل واحد منها فصلا يليق به فاما اللحظات
فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق نظره اورده موارد الهلاك — الشهوات بصره اللحظات
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الثانية — الآخرة
وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن
امرأة او امرد لله اورث الله في قلبه حلاوة العبادة الى يوم القيمة هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم — يلقاه
واحفظوا فروجكم وقال اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا بد منها — في
قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى
ورد السلام والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة تولد خطرة ثم تولد
الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل
121 ولا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض البصر ايسر من الصبر على الم ما بعده ولهذا — الطرف
قال الشاعر ؎ كل الحوادث مبداها من النظر ٭ ومعظم النار من مستصغر الشرر ٭ كم نظرة بلغت
في قلب صاحبها ٭ كمبلغ السهم بين القوس والوتر ٭ والعبد ما دام ذا طرف يقلبه ٭ في اعين — من
العين موقوف على الخطر ٭ يسر مقلته ما ضر مهجته ٭ لا مرحبا بسرور عاد بالضرر ٭ ومن آفاته انه — آفات النظر
يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من
اعظم العذاب ان ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه ولا قدرة لك عليه قال الشاعر ؎ — على بعضه
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوم اتعبتك المناظر ٭ رأيت الذي لا كله انت قادر ٭ — انت
عليه ولا عن بعضه انت صابر ٭ وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا
تصبر عن شيء منه ولا تقدر عليه فان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته عن الكل الذي — على شيء منه على الكل
لا ينتفي الا بنفي القدرة عن كل فرد فرد واحد واحد وكم من مرسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن — فرد فرد لحظاته من ارسل
قتيلا كما قيل ؎ يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ٭ حتى تشحط بينهن قتيلا ٭ ولي من ابيات ؎ مل السلامة فاغتدت لحظاته
وقفا على طلل يظن جميلا ٭ ما زال يتبع اثره لحظاته ٭ حتى تشحط بينهن قتيلا ٭ ومن العجب ان لحظة الناظر — يراه بفراسته

سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يتبوء مكانا من قلب الناظر ولي من قصيدة ؎
يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا ❊ انت القتيل بما ترمي فلا تصب ❊ وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ❊ احبس رسولك لا يأتيك بالعطب ❊ واعجب من ذلك ان النظرة تجرح القلب جرحا فيتبعها جرح على جرح ثم لا يمنعه الم الجراحة من استدعاء تكرارها ولي ايضا في هذا المعنى ؎ ما زلت تتبع نظرة في نظرة ❊ في اثر كل مليحة ومليح ❊ وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التحقيق تجريح على تجريح ❊ فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا ❊ فالقلب منك ذبيح اي ذبيح ❊ وقد قيل ان حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات

من سهام

انتهى

تحمك

فصل

واما الخطرات فشأنها اصعب فانها مبدأ الخير والشر ومنها تتولد الارادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له اغلب ومن استهان بالخطرات قادته قهرا الى الهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واخس الناس همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالاماني الكاذبة واستجلبها لنفسه وتحلى بها وهي لعمر الله رؤس اموال المفلسين ومتاجر الباطلين وهي قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال كما قال الشاعر ؎ اماني من سعدى رواء على الظماء سقتنا بها سعدى على ظماء بردا منى ان تكن حقا تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا وهي اضر شيء على الانسان وتتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والاضاعة والحسرة والندامة والتمني لما فاته مباشرة الحقيقة بجسمه تحت صورتها في قلبه وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية صورها فكره وذلك لا يجدي عليه شيئا وانما مثله مثل الجائع والظمآن يصور في وهمه صورة الطعام والشراب وهو يأكل ويشرب والسكون الى ذلك واستحلاؤه يدل على خساسة النفس ووضاعتها وانما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوها بان تنفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا ترضى ان يخطرها ببالها ويأنف لنفسه منها ثم الخطرات بعد اقسام تدور على اربعة اصول خطرات يستجلب بها العبد منافع

قسم ۱۲۳

مقدم باشد

دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته
وخطرات يستدفع بها مضار آخرته فليحصر العبد خطراته وافكاره وهمومه في هذه الاقسام
الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما امكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات
لتزاحم متعلقاتها قدم الاهم فالاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف
فوته بقي قسمان آخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت ففي كل
منهما ما يدعو الى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فيه فان قدم الاهم خشي فوات ما دونه وان — المهم
قدم ما دونه فاته الاشتغال به عن المهم وذلك بان يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما
ولا يحصل احدهما الا بتفويت الآخر فهو موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن — فلهذا
ههنا ارتفع من ارتفع وانجح من انجح وخاب من خاب فاكثر من ترى ممن يعظم
عقله ومعرفته يؤثر غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من
١٢٣ ذلك ولكن مستقل ومستكثر والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار
الشرع والقدر واليها يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت
المصلحة التي هي دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فتفوت مصلحة
لتحصيل ما هو اكبر منها ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم منها فخطرات العاقل وفكره — لتحصيل
لا تجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح الدنيا والآخرة لا تقوم الا على
ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله والدار الآخرة فما كان لله فهو انواع
النوع الاول الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها وفهمها وفهم مراده منها ولذلك انزلها — احدها
الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن ليعمل به
فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال بها
على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حث الله سبحانه عباده — خص
على التفكر في آياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة — الفكرة
في آلائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة مغفرته ورحمته وحلمه
وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه ودوام

الفكرة فی ذلک مع الذکر یصبغ القلب فی المعرفة والمحبة صبغة تامة الرابع الفکر فی
عیوب النفس وآفاتها وفی عیوب العمل وهذه الفکرة عظیمة النفع وهذا باب
لکل خیر وتأثیرها فی کسر النفس الامارة بالسوء ومتی کسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحکم لها فحی القلب ودارت کلمته فی مملکته وبث امراءه وجنوده
فی مصالحه الخامس الفکرة فی واجب الوقت ووظیفته وجمع الهم کله علیه فالعارف
ابن وقته فان اضاعه ضاعت علیه مصالحه کلها فجمیع المصالح انما تنشأ من الوقت
وان ضیعه لم یستدرکه ابدا قال الشافعی رضی الله عنه صحبت الصوفیة فلم استفد — نفی ضیاع الوقت
منهم سوی حرفین احدهما قولهم الوقت سیف فان قطعته والا قطعک ونفسک ان — لم تقطعه قطعک
اشغلتها بالحق والا اشتغلتک بالباطل فوقت الانسان هو عمره فی الحقیقة وهو
مادة حیاته الابدیة فی النعیم المقیم ومادة المعیشة الضنک فی العذاب الالیم وهو یمر
اسرع من مر السحاب فما کان من وقته لله وبالله فهو حیاته وعمره وغیر ذلک لیس
محسوبا من حیاته وان عاش فیه عیش البهائم فاذا قطع وقته فی الغفلة والشهوة ۱۲۴
والامانی الباطلة وکان خیر ما قطعه بالنوم والبطالة فموت هذا خیر له من حیاته ولذا
کان العبد وهو فی الصلوة لیس له من صلاته الا ما عقل منها فلیس له من عمره الا ما کان فیه بالله
وله وما عدا هذه الاقسام من الخطرات والفکر فاما وساوس شیطانیة واما امانی
باطلة وخدع کاذبة بمنزلة خواطر المصابین فی عقولهم من السکاری والمحشوشین
والموسوسین ولسان حال هؤلاء تقول عند انکشاف الحقائق ؎ ان کان منزلتی
فی الحب عندکم ۰ ما قد لقیت فقد ضیعت ایامی ۰ امنیة ظفرت روحی بها زمنا ۰
والیوم احسبها اضغاث احلامی ۰ واعلم ان ورود الخاطر لا یضر وانما یضر استدعاؤه
ومحادثته فالخاطر کالمار علی الطریق فان لم تستدعه وترکته مر وانصرف عنک وان
استدعیته سحرک بحدیثه وخدعه وغروره وهو اخف شیء علی النفس الفارغة الباطلة
واثقل شیء علی القلب والنفس الشریفة السماویة المطمئنة وقد رکب الله سبحانه فی
الانسان نفسان نفسا امارة ونفسا مطمئنة وهما متعادیتان فکلما خف علی هذه

التفت ثقل على هذه وكلما التفت به هذه تألمت به الاخرى فليس على النفس الامارة اشق
من العمل لله وايثار رضاه على هواها وليس لها انفع منه وكذا ليس على النفس المطمئنة
اشق من العمل لغير الله واجابة داعي الهوى وليس عليها شيء اضر منه والملك مع هذه
يمنة يسرة عن يمين القلب والشيطان مع تلك عن ميسرة القلب والحروب مستمرة لا تضع اوزارها
الا ان تستوفي اجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والحق كله
يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر ورابط
واتقى الله فله العاقبة في الدنيا والآخرة وقد حكم الله تعالى حكما لا يبدل ابدا ان
العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه
فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخدع واماني
باطلة وسراب لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش واذا
اراد ان ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محل مشغول
١٢٥ بكتابة ما لا منفعة فيه فان لم يفرغ القلب من الخواطر الردية لم يستقر فيه الخواطر
النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ كما قيل ۵ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
خاليا ابناه فصادف قلبا فارغا فتمكنا * ولهذا كثير من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على حفظ الخواطر
وان لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق
العلويات فيها وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان
يطرقها خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها فصادفها الشيطان خالية فبذر فيها الباطل
في قوالب وهمهم انها اعلى الاشياء واشرفها وعوضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم
والهدى واذا خلى القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا فشغله بما
يناسب حال صاحبه حيث لم يستطع ان يشغله بالخواطر السفلية فكيف بالعلوية
فشغله بارادة التجريد والفراغ من الارادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح الا بان تكون
هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري الذي يحبه ويرضاه وشغل
القلب واهتمامه بمعرفته على التفصيل به والقيام به وتنفيذه في الخلق والتطرق الى

ذلك والتوصل اليه بالدخول فی الخلق لتنفیذه فیر طلم الشیطان عن ذلك بان دعاهم الی ترکه وتعطیله من باب الزهد فی خواطر الدنیا واسبابها واوهمهم ان کمالهم فی ذلك التجرید والفراغ وهیهات هیهات انما الکمال فی امتلاء القلب او السر من الخواطر والارادات والفکر فی تحصیل مراضی الرب تعالی من العبد ومن الناس والفکر فی طرق ذلك التوصل الیه فاکمل الناس اکثرهم خواطر وفکرا وارادات لذلك کما ان انقص الناس اکثرهم خواطر وفکرا وارادات لحظوظه وهواه این کانت والله المستعان وهذا عمر بن الخطاب رضی الله عنه کانت تتزاحم علیه الخواطر فی مرضات الرب تعالی فربما استعملها فی صلاته فکان یجهز جیشه وهو فی صلاته فیکون قد جمع بین الصلوة والجهاد وهذا من باب تداخل العبادات فی العبادة الواحدة وهو من باب عزیز شریف لا یعرفه الا صادق حاذق الطلب متضلع من العلم عالی الهمة بحیث یدخل فی عبادة یظفر فیها بعبادات شتی وذلك فضل الله یؤتیه من یشاء

فصل

واما اللفظات فحفظها بان لا یخرج لفظة ضائعة بل لا یتکلم الا فیما یرجو فیه الربح والزیادة فی دینه فاذا اراد ان یتکلم بالکلمة نظر هل فیها ربح او فائدة ام لا فان لم یکن فیها ربح امسك عنها وان کان فیها ربح نظر هل تفوته بها کلمة هی اربح منها فلا یضیعها بهذه واذا اردت ان تستدل علی ما فی القلب فاستدل علیه بحرکة اللسان فانه یطلعك علی ما فی القلب شاء صاحبه ام ابی قال یحیی بن معاذ القلوب کالقدور تغلی بما فیها والسنتها مغارفها فانظر الرجل حین یتکلم فان لسانه یغترف لك مما فی قلبه حلو وحامض وعذب واجاج وغیر ذلك ویبین لك طعم قلبه اغتراف لسانه ای کما تطعم بلسانك طعم ما فی القدور من الطعام فتدرك العلم بحقیقته کذلك تطعم ما فی قلب الرجل من لسانه فتذوق ما فی قلبه من لسانه کما تذوق ما فی القدر بلسانك وفی حدیث انس المرفوع لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبه ولا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه وسئل النبی صلی الله علیه وسلم عن اکثر ما یدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذی حدیث

الکریم
الکریم
مرضی
عسکره الصلوٰة
یدخل منه

۱۲۶
واحدة

حسن صحيح وقد سأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده
من النار فاخبره صلى الله عليه وسلم براسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبركم
بملاك ذلك كله قال بلى يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك
هذا فقال وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث حسن صحيح
ومن العجب ان الانسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا
والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه
حتى يرى الرجل يشار اليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بالكلمات
لها بالا يزل بالكلمة الواحدة منها ابعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل بالا
متورع عن الفواحش والظلم ولسانه تفري في اعراض الاحياء والاموات ولا يبالي
ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ١٢٧
جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر
الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى علي اني لا اغفر لفلان قد غفرت له
واحبطت عملك فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه الكلمة
الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة تكلم بكلمة اوبقت دنياه
وآخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد بالا
ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وعند مسلم ان العبد بالا
ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار ابعد مما بين المغرب والمشرق وعند الترمذي يهوي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث بلال بن الحارث المزني ان احدكم ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم
يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له
بها سخطه الى يوم يلقاه فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث حديث

وفي جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال فلعله
حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك يا بني الجنة فقال رسول الله صلى الله من
عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي الصحيحين من حديث
ابي هريرة يرفعه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر الترمذي باسناد فليقل خيرا
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال
قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا وهذا حديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ١٢٨
ابن آدم عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز وجل قال الترمذي حديث
حسن وفي حديث آخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله
فانما نحن بك فاذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقد كان بعض السلف فان
يحاسب احدهم نفسه في قوله يوم حار ويوم بارد ولقد روي بعض الاكابر من اهل العلم في النوم
بعد موته فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما احوج الناس الى
غيث فقيل لي وما يدريك انا اعلم بمصلحة عبادي وقال بعض الصحابة لخادمه يوما هات مجارية
لي السفرة نعبث بها ثم قال استغفر الله ما اتكلم بكلمة الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الكلمة خرجت
مني بغير خطام ولا زمام او كما قال وايسر حركات الجوارح حركة اللسان وهي اضرها
على العبد واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين
اظهرهما الاول وقال بعض السلف كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ما كان من ذكر الله
وما والاه وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام لسانه
اسيرك فاذا خرج من فيك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل وما يلفظ من

قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان ان خلص العبد من احدهما
لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم اثما من الاخرى
في وقتها فالساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على
نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم
بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل
واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة
بلا منفعة فضلا ان تضره في آخرته وان العبد ليأتي يوم القيمة بحسنات امثال الجبال كأمثال
فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها ويأتي بسيئات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر
الله عز وجل وما اتصل به

فصل

واما الخطوات فحفظها بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجو ثوابه عند الله تعالى فان لم يكن
١٢٩ في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه
قربة يتقرب بها وينويها لله فيقع خطاه قربة وتنقلب عادته عبادة ومباحاته طاعات ولما كانت العثرة
عثرتين عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احداهما قرينة الاخرى في قوله تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة
في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور

فصل

وهذا كله ذكرناه مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى
الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه
وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران الزنا بالكفر وقتل النفس نظير الآية التي في بالشرك
الفرقان ونظير حديث ابن مسعود وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا ثم بالذي يليه فالزنا اكثر وقوعا في القرآن

من قتل النفس وقتل النفس اكثر وقوعا من الردة نعوذ بالله منها وايضا فانه انتقال
من الاكبر الى ما هو اكبر منه مفسدة ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فان المرأة اذا
زنت ادخلت العار على اهلها وزوجها واقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وان
حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل وان حملته الزوج
ادخلت على اهلها واهله اجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب
اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها واما زنا الرجل فانه يوجب اختلاط
الانساب ايضا وافساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب
الدنيا والدين وان عمرت القبور في البرزخ والنار في الآخرة فكم في الزنا من استحلال
محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر
ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته ايضا انه يشتت
القلب ويمرضه ان لم يمته ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك
ويقربه من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه
القتل على اشنع الوجوه وافحشها واصعبها ولو بلغ العبد ان امرأته او حرمته قتلت كان
اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه لو رأيت
رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي العبد ما حرم عليه
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش لاجل
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل المرسلين
مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على
نفسه وفي الصحيحين في خطبته صلى الله عليه وسلم في صلوة الكسوف انه قال يا امة محمد
والله انه لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم

لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه فقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها وقال
عقيب صلوة الكسوف سر بديع لمن تامله وظهور الزنا من امارات خراب العالم وهو
من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكموه
احد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اشراط الساعة ان يرفع
العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين
امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا يغضب الله سبحانه وتعالى
ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الربا
والزنا في قرية الا اذن الله باهلاكها ورأى بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امرأة
فقال مهلا يا بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقيل له
هكذا غضبك لي لا يكون في جنسك خير ابدا وخص سبحانه حد الزنا من بين سائر الحدود غضبت
بثلث خصائص احدها القتل فيه على اشنع القتلات وحيث خففه فجمع فيه بين العقوبة بالشنع
على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان تاخذهم ۱۳۱
بالزناة رأفة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه من رأفته بهم ورحمته
بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم منكم بهم ولم تمنعه رحمته من امره بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم
ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكر
في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة
على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر
مما ترحم غيره من ارباب الجرائم والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تاخذهم هذه الرأفة
وتحملهم على تعطيل حد الله عز وجل وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف حدود هذه
والاوساط والاراذل وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشارك فيه كثير واكثر اسبابه الاراذل
العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة
وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الامر فانه مستقر عند ما شاء الله فهو
من اشباه الانعام ولقد حكي لنا من ذلك شيء كثير اكثره عن ناقصي العقول والاديان

كالمجذوم والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع التراضي من الجانبين فلا كالمجذوم وقاية
يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه وفيها شهوة غالبة له فتصور
ذلك بنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من ضعف الايمان وكمال الايمان
ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه سبحانه في
امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدهما بمشهد من المؤمنين فلا يكون في خلوة
حيث لا يراهما احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة
الله تعالى لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش وفي
كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر
والتعداد ولان يقتل المفعول به خير له من ان يؤتى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح
ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء الحياء من وجهه فلا يستحيي بعد ذلك لا من الله
ولا من خلقه وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس
هل يدخل الجنة مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام رحمه الله يحكيهما والذين قالوا ١٣٢
لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا فاذا
كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل شر وخبث وهو جدير
ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة واذا كان الجسد الذي تربى على الحرام
النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من ولد الزنا
واخبث وافحش وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا قيض الله له وافحش
ما يفسده عقوبة له وقل ان ترى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر مما كان
ولا يوفق لعمل صالح ولا علم نافع ولا توبة نصوحا والتحقيق في هذه المسألة ان يقال
ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا وكان في كبره
خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلك عنه بانواع الطاعات
والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا
مغفور له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا كانت التوبة تمحو

كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن
محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله به عدلا وفضلا ان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل
سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل تائب من كل ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة واما مغفول به
كان في كبره شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوحا ولا لعمل صالح ولا استدرك ما فات
ولا احيى ما مات ولا ابدل السيئات بالحسنات فهذا بعيد ان يوفق عند الممات لخاتمة
يدخل بها الجنة عقوبة له على عمله فان الله سبحانه وتعالى يعاقب على السيئة بسيئة اخرى
وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها ببعض كما يثيب على الحسنة بحسنة اخرى فتضاعف
الحسنات واذا نظرت الى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة
عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله ۱۳۳
واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا لها طرق وابواب اعظمها الانكباب على
الدنيا وطلبها والحرص عليها والاعراض عن الاخرى والاقدام والجرأة على معاصي الله
عز وجل وربما غلب على الانسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من المعاصي
الاعراض ونصيب من الجرأة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفأ نوره وارسل عليه
حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء
من مكان بعيد فلم يتبين له المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد قال ويروى
ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا اله الا الله فقال الناصر
مولاي فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما
افاق قال الناصر مولاي وكان هذا دأبه كلما قيل قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي
ثم قال لابنه يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات على ذلك
قال عبد الحق رحمه الله وقيل لآخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية

اصلحوا فيها كذا والبستان الفلانی افعلوا فيه كذا قال وفيما اذن لی ابو طاهر السلفی ان حدث

به عنه ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بالفارسية ده يازده

تفسيره عشرة باحدى عشر وقيل لآخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق الی حمام منجاب

قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابها يشبه باب شبه

هذا الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الی حمام منجاب فقال نبذه

هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها فی داره وعلمت انه قد

خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت خدعها منها له وتحيلا لتتخلص مما

اوقعها فيه وخوفا من فعل الفاحشة يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا

فقال لها الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها فی الدار ولم يغلقها فاخذ

ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تخنه فی شیء فهام الرجل واكثر الذكر لها

وجعل يمشی فی الطرق والازقة ويقول ؎ يا رب قائلة يوما وقد تعبت * اين الطريق كيف

الی حمام منجاب * فبينا هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق فقالت ؎ هلا

جعلت سريعا اذ ظفرت بها * حرزا علی الدار او قفلا علی الباب * فازداد هيمانه واشتد حرستا

هيجانه ولم يزل كذلك حتی كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا قال ويروی ان رجلا علی ذلك

عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من قلبه حتی وقع لما به ولزم الفراش بسببه وتمنع علق

ذلك الشخص عليه واشتد نفاره عنه فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتی وعده بان يعوده

فاخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلی غمه وجعل ينتظر الميعاد الذی ضربه

له فبينا هو كذلك اذ جاءه الساعی بينهما فقال انه وصل معی الی بعض الطريق ورجع فرغبت

اليه وكلمته فقال انه ذكرنی وبرح بی ولا ادخل مداخل الريب ولا اعرض نفسی لمواقع لو اخضع

التهم فعاودته فابی وانصرف فلما سمع البائس ذلك اسقط فی يده وعاد الی اشد

مما كان به وبدت عليه علائم الموت فجعل يقول فی تلك الحال ؎ اسلم يا راحة العليل * به

ويا شفاء المدنف النحيل * رضاك اشهی الی فؤادی * من رحمة الخالق الجليل * فقلت

له يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتی سمعت صيحة

الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة وقد بكى سفيان الثوري ليلة الى
الصباح فلما اصبح قيل له اكل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال
الذنوب اهون من هذا وانما ابكي خوفا من الخاتمة وهذا من اعظم الفقه ان يخاف
الرجل ان تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى وقد ذكر الامام
احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فمن هذا خاف السلف
من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة الحسنى قال واعلم ان سوء الخاتمة
اعاذنا الله تعالى منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به
ولله الحمد وانما تكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار على الكبيرة واقدام على العظائم
فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل اصلاح الطوية
ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة
والعياذ بالله قال ويروى انه كان بمصر رجل يلزم المسجد للاذان والصلاة فيه وعليه
بهاء الطاعة وانوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة
دار لنصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان
ونزل اليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت
لماذا قال قد سلبت لبي واخذت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة ابدا
قال اتزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال اتنصر
قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء
ذلك اليوم رقى الى سطح كان في الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه

فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من اعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من
اعظم العقوبات وقد اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنا او الزنا
اغلظ عقوبة منه او عقوبتهما سواء على ثلاثة اقوال فذهب ابو بكر الصديق وعلي بن

ابی طالب وخالد بن الولید وعبد اللہ بن الزبیر وعبد اللہ بن عباس وخالد بن زید
وعبد اللہ بن معمر والزہری وربیعۃ بن ابی عبد الرحمن ومالک واسحٰق بن راہویہ والامام
احمد فی اصح الروایتین عنہ والشافعی فی احد قولیہ الی ان عقوبتہ اغلظ من عقوبۃ الزنا
وعقوبتہ القتل علی کل حال محصنا کان او غیر محصن وذہب عطاء بن ابی رباح
والحسن البصری وسعید بن المسیب وابراہیم النخعی وقتادۃ والاوزاعی والشافعی فی
ظاہر مذہبہ والامام احمد فی الروایۃ الثانیۃ عنہ وابو یوسف ومحمد الی ان عقوبتہ وعقوبۃ
الزانی سواء وذہب الحکم والامام ابو حنیفۃ الی ان عقوبتہ دون عقوبۃ الزانی وہی التعزیر
قالوا لانہ معصیۃ من المعاصی لم یقدر اللہ ولا رسولہ صلی اللہ علیہ وسلم فیہ حدا مقدرا
فکان فیہ التعزیر کاکل المیتۃ والدم ولحم الخنزیر قالوا ولانہ وطء فی محل لا تشتہیہ الطباع
بل رکبہا اللہ تعالی علی النفرۃ منہ حتی الحیوان البہیم فلم یکن فیہ حد کوطء الحمار وغیرہ قالوا
ولانہ لا یسمی زانیا لغۃ ولا شرعا ولا عرفا فلا یدخل فی النصوص من الدالۃ علی حد الزانیین
قالوا ولانا رأینا قواعد الشریعۃ ان المعصیۃ اذا کان الوازع عنہا طبعیا اکتفی بذلک ١٣٣٦
الوازع عن الحد واذا کان فی الطبائع تقاضیہا جعل فیہا الحد بحسب اقتضاء الطبائع
لہا ولہذا جعل الحد فی الزنا والسرقۃ وشرب المسکر دون اکل المیتۃ والدم ولحم الخنزیر
قالوا وطرد ہذا انہ لا حد فی وطء البہیمۃ ولا المیتۃ وقد جبل اللہ تعالی الطبائع علی النفرۃ
من وطء الرجل الرجل اشد نفرۃ کما جبلہا علی النفرۃ من استدعاء الرجل من یطؤہ بخلاف
الزنا فان الداعی فیہ من الجانبین قالوا ولان احد النوعین اذا استمتع بشکلہ لم یجب علیہ
الحد کما لو تساحقت المرأتان واستمتعت کل واحدۃ منہما بالاخری قال اصحاب القول
الاول وہم جمہور الامۃ وحکاہ غیر واحد اجماعا للصحابۃ لیس فی المعاصی مفسدۃ اعظم من
مفسدۃ اللواط وہی تلی مفسدۃ الکفر وربما کانت اعظم من مفسدۃ القتل کما سنبینہ ان
شاء اللہ تعالی قالوا ولم یبتل اللہ تعالی بہذہ الکبیرۃ قبل قوم لوط احدا من العالمین
وعاقبہم عقوبۃ لم یعاقب بہا امۃ غیرہم وجمع علیہم انواعا من العقوبات من الاہلاک
وقلب دیارہم علیہم والخسف بہم ورجمہم بالحجارۃ من السماء وطمس اعینہم وعذبہم وجعل

عذابهم مستمرا فنكل بهم نكالا لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملائكة الى اقطار السموات والارض
اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض الى ربها تبارك
وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به خير له من وطئه فانه اذا وطئه
الرجل قتله قتلا لا ترجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في
آخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل حد القاتل الى خيرة الولي
ان شاء قتل وان شاء عفى وحتم قتل اللوطي حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة
الصريحة التي لا معارض لها بل عليها عمل اصحابه وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم
اجمعين وقد ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح
كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاستشار ابو بكر الصديق الصحابة
رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب اشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا امة
من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها ارى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد فحرقه وقال
عبد الله بن عباس ان ينظر اعلا ما في القرية فيرمي اللوطي منها منكسا ثم يتبع بالحجارة
واخذ ابن عباس هذا الحد من عقوبة الله اللوطية قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واحتج الامام احمد بهذا الحديث واسناده
على شرط البخاري قالوا وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله من عمل
عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجئ
عنه لعنة الزاني ثلث مرات في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر فلم
يتجاوز بهم في اللعن مرة واحدة وكرر لعن اللوطية فاكده ثلث مرات واطبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف منهم فيه رجلان وانما اختلفت اقوالهم
في صفة قتله فظن بعض الناس ان ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسألة نزاع

يرتجى
ثبت في الاحاديث
الصحابة
نواحي
١٣٧ الا فعل امة
اللعنة واكده

بين الصحابة وهي بينهم مسألة اجماع لا مسألة نزاع قالوا وتأمل قوله سبحانه ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
احد من العالمين تبين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة
من الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول
زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي اتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد فهي لظهور وبهي
فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قول فرعون
لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل احد
ثم اكد سبحانه شأن فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم فقال ما سبقكم بها من
احد من العالمين ثم زاد في التأكيد بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع
وتنفر منه اشد النفور وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال ائنكم لتأتون نفرة الطباع
الرجال ثم نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا الحاجة ۱۳۸
التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة
التي تنسى المرأة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي
هو اشرف المخلوقات وتحصين المرأة وقضاء الوطر وحصول علاقة المصاهرة التي هي وطرا
اخت النسب وقيام الرجال على النساء وخروج احب الخلق الى الله من جماعهن
كالانبياء والاولياء والمؤمنين ومكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك
من مصالح النكاح والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي عليه بما لا يمكن
حصره وفساده ولا يعلم تفصيله الا الله عز وجل ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان اللوطية عكسوا
فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة
النساء دون الذكور فقلبوا الامر وعكسوا الفطرة والطبيعة فاتوا الرجال شهوة من دون
النساء ولهذا اقلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها وكذلك قلبوا ونكسوا
في العذاب على رؤسهم ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة
الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتأمل هل جاء مثل ذلك او قريبا منه في الزنا واكد

نجاه وذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ثم ذكر سبحانه عليهم
الذميم ووصفين في غاية القبح فقال انهم كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول
نبيه فقال رب انصرني على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملائكة لابراهيم عليه السلام
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات وكن
وذمه الله بمثل هذه الذمات ولما جادل فيهم خليله ابراهيم الملائكة وقد اخبروه (ن خليل الله)
باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وما
خبث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا لما سمعوا بانه قد طرقه اضياف هم من
احسن البشر صورا فاقبل اللوطية اليهم يهرعون فلما رآهم قال لهم يا قوم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم ففدا اضيافه ببناته يزوجهم بهن خوفا على نفسه وعلى اضيافه من العار الشديد
فقال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد
فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فنفث
نبي الله نفثة مصدور وخرجت من قلب مكروب عميد فقال لو ان لي بكم قوة او
آوي الى ركن شديد فكشف له رسل الله عن حقيقة الحال واعلموه انه ممن ليس يوصل
اليهم ولا اليه بسببهم فلا تخف منهم ولا تعبأ بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب فقالوا فاسر
باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح أليس الصبح بقريب فاستبطأ نبي الله عليه السلام موعد هلاكهم وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة
أليس الصبح بقريب فوالله ما كان بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد قلعت من اصولها ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق (ن انقلعت)
الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل على يدي عبده ورسوله جبرائيل بان
يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل فقال من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل فجعلهم آية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن شاركهم في
اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها

لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين اخذهم على غرة وهم نائمون وجاءهم بأسه
وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فتقلبت على تلك اللذات آلاما فاصبحوا
بها يعذبون ۝ مآرب كانت في الحيوة لاهلها ۞ عذابا فصارت في الممات عذابا ۞ ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقوات تمتعوا قليلا وعذبوا
طويلا رتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما اسكرتهم خمرة تلك الشهوات فما استفاقوا منها الا
في ديار المعذبين وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا منها الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع بالدم فلو رأيت الاعلى
والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم
وهم يشربون بدل لذات الشراب كؤوس الحميم فيقال لهم وهم على وجوههم يسحبون ذوقوا ما كنتم
تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ولقد قرن الله
سبحانه مسافة العذاب بين هذه الامة وبين اخوانهم في العمل فقال مخوفا لهم اعظم الوعيد
وما هي من الظالمين ببعيد ۝ فيا ناكح الذكران تهنيك البشرى ۞ فيوم معاد الناس ان لك اجرا ۞
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا واكثروا فان لكم زفا الى ناره الكبرى ۞ فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ۞
وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى ۞ وها نحن اسلاف لكم في انتظاركم ۞ سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى ۞
ولا تحسبوا ان الذين نكحتموا ۞ يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا ۞ ويلعن كلا منهم لخليله ۞ ويشقى
به المحزون في الكرة الاخرى ۞ يعذب كل منهم بشريكه ۞ كما اشتركا في لذة توجب الوزرا ۞

فصل

في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها
معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا فجوابه من وجوه احدها ان المبلغ عن الله جعل حد
صاحبها القتل حتما وما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم
ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم
من ذلك انتفاء حكمه لثبوته بالسنة الثاني ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت
بالسنة فان قلتم بل ثبت بالقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب

الشهوة الشقوة

لذيذ

قرب

فاشتروا الجنة بالحرى

كل منكم بخليله

الثالث ان نفی دلیل معین لایلزم منه نفی مطلق الدلیل والنفی المدلول فکیف وقد
قدمنا ان الدلیل الذی نفیتموه غیر منتف واما قولکم انه وطی لا تشتهیه الطباع بل رکب الله الطباع علی النفرة منه
فهو کوطی المیتة والبهیمة فجوابه من وجوه احدها انه قیاس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول
الله صلی الله علیه وسلم واجماع الصحابة کما تقدم بیانه الثانی ان قیاس وطی الامرد الجمیل
الذی تربی فتنته علی کل فتنة علی وطی اتان او امراة میتة من افسد القیاس بل هل یعقل
ذلک احد قط باتان او بقرة او میتة او یسبی ذلک قلب عاشق او استر قلبه او استولی
علی فکره ونفسه فلیس فی القیاس افسد من هذا الثالث ان هذا منتقض بوطی الام
والبنت والاخت فان النفرة الطبیعیة عنه کاملة مع ان الحد فیه من اغلظ الحدود فی
احد القولین وهو القتل بکل حال محصنا کان او غیر محصن وهذه احدی الروایتین
عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهویه وجماعة من اهل الحدیث وقد روی ابو داود
من حدیث البراء بن عازب قال لقیت عمی ومعه الرایة فقلت له الی این ترید قال
بعثنی رسول الله صلی الله علیه وسلم الی رجل نکح امراة ابیه من بعده ان اضرب
عنقه واخذ ماله قال الترمذی هذا حدیث حسن قال الجوزجانی عم البراء اسمه الحارث بن
عمرو وفی سنن ابی داود وابن ماجه من حدیث ابن عباس قال قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم من وقع علی ذات محرم فاقتلوه ورفع الی الحجاج رجلا اغتصب اخته
علی نفسها فقال احبسوه واسألوا من هھنا من اصحاب رسول الله صلی الله
علیه وسلم فسألوا عبد الله بن مطرف فقال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول
من تخطی حرم المؤمنین فخطوا وسطه بالسیف وفیه دلیل علی القتل بالتوسیط وهذا
دلیل مستقل فی المسألة وهو ان من لا یباح وطئه بحال فحده القتل دلیله من وقع علی امه وابنته فکذلک
یقال فی وطی ذوات المحارم من وطئ من لا یباح وطئه بحال کان حده القتل کاللوطی
والتحقیق ان یستدل علی المسألتین بالنص والقیاس یشهد لصحة کل منهما وقد اتفق
المسلمون علی ان من زنا بذات محرم فعلیه الحد وانما اختلفوا فی صفة الحد هل هو
القتل بکل حال او حده حد الزانی علی قولین فذهب الشافعی ومالک واحمد فی

الصحابه
تعدل
عقل
والتی عند صاحبه
141

احد ما قیاس حد حد الزانی وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحدیث الی ان حده القتل بکل حال وکذلک اتفقوا کلهم علی انه لو اصابها باسم النکاح عالما بالتحریم انه یحد الا ابا حنیفة وحده فانه رأی ذلک شبهة مسقطة للحد والمنازعون له یقولون اذا اصابها باسم النکاح فقد زاد الجریمة غلظا وشدة فانه ارتکب محذورین عظیمین محذور العقد ومحذور الوطی فکیف تخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الی محذور الزنا واما وطی المیتة ففیه قولان للفقهاء وهما فی مذهب احمد وغیره احدهما انه یجب به الحد وهو قول الاوزاعی فان فعله اعظم جرما واکثر ذنبا لانه انضم الی هتک فاحشة حرمة المیتة

فصل

واما وطی البهیمة فللفقهاء فیه ثلثة اقوال احدها انه یؤدب ولا حد علیه وهذا قول مالک وابی حنیفة والشافعی فی احد قولیه وهو قول اسحق والقول الثانی ان حکمه حکم الزانی یجلد ان کان بکرا ویرجم ان کان محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث ان حکمه حکم اللوطی نص علیه احمد ویخرج علی الروایتین فی حده هل هو القتل حتما او هو کالزانی والذین قالوا حده القتل احتجوا بما رواه ابو داود من حدیث ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وسلم من اتی البهیمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا ولانه وطی لا یباح بحال فکان فیه القتل کحد اللوطی ومن لم یر علیه الحد قالوا لم یصح فیه الحدیث ولو صح لقلنا به ولم یحل لنا مخالفته قال اسمعیل بن سعید الشالنجی سالت احمد عن الذی یاتی البهیمة فوقف عنده ولم یثبت حدیث عمرو بن ابی عمرو فی ذلک وقال الطحاوی الحدیث ضعیف وایضا فروایة ابن عباس وقد افتی بانه لا حد علیه قال ابو داود وهذا یضعف الحدیث ولا ریب ان الزاجر الطبعی عن اتیان البهیمة اقوی من الزاجر الطبعی عن التلوط ولیس الامران فی طباع الناس سواء فالحاق احدهما بالآخر من افسد القیاس

فصل

واما قیاس من قاس وطی الرجل لمثله علی تساحق المرأتین فمن افسد القیاس اذ لا ایلاج هناک وانما نظیر مباشرة الرجل الرجل من غیر ایلاج علی انه قد جاء فی بعض الاحادیث المرفوعة

مسائل عقود — بہیمہ — بہیمہ — کہ حد اللوطی — اتی — عندنا — تمالک — اوثمار

إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الإيلاج وإن أطلق
عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم وإذا ثبت هذا فأجمع المسلمون على أن
حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن أن تلوط الإنسان مع مملوكه جائز واحتج على ذلك
بقوله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين وقاس ذلك على أمته المملوكة فهو كافر يستتاب كما
يستتاب المرتد فإن تاب وإلا قتل وضرب عنقه وتلوط الإنسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الإثم والحكم

فصل

فإن قيل مع هذا كله فهل من دواء لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر القتال وما
الاحتيال لدفع هذا الخبال وهل من طريق قاصد إلى التوفيق وهل يمكن السكران
بخمرة الهوى أن يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل إلى سويدائه وهل
للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سقمه لأن لامه لائم التذ بملامه لذكره لمحبوبه وإن
عذله عاذل أغراه عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ❊ متأخر عنه ولا متقدم ❊
وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ❊ ما من يهون عليك ممن يكرم ❊
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ❊ إذ كان حظي منك حظي منهم ❊
أجد الملامة في هواك لذيذة ❊ حبا لذكرك فليلمني اللوم ❊

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الأول الذي وقع عليه الاستفتاء والداء الذي طلب
له الدواء قيل نعم الجواب من أصله وما أنزل الله سبحانه من داء إلا أنزل له دواء علمه
من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء هذا الداء من طريقين أحدهما حسم مادته قبل حصولها
والثاني قلعها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على من لم يعنه فإن
أزمة الأمور بيديه فأما الطريق المانع من حصوله فأمران أحدهما غض البصر كما تقدم فإن
النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ومن أطلق لحظاته دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع أحدها أنه
امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال
أوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة
إلا بتضييع أوامره الثاني أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه

ذلك
سويدائه ذكرا
١٤٣
رأس شطار
على من يسره الله
وأما حصول هذا الداء
فليس
أوامر ربه
يمنع

الثالث انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلاق البصر يفرق القلب
ويشتته ويبعده من الله وليس على العبد شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد
وبين ربه الرابع انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامس
انه يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الامر
بغض البصر فقال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح اي مثل نوره في قلب
عبده المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا استنار القلب اقبلت
وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه
من كل مكان فما شئت من بدعة وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى واعراض
عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة فان ذلك انما يكشفه له النور
الذي في القلب فاذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يجوس في حنادس الظلام
السادس انه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه بن
شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره
عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واعتاد اكل الحلال لم تخطئ له فراسته وكان
شجاع هذا لا تخطئ له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن
ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان
يطلق نور بصيرته عوضا عن حبس بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة
والفراسة الصادقة المصيبة التي انما تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله
به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل والعمه الذي هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمه البصيرة
وسكر القلب كما قال القائل: سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران * وقال الآخر:
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين * العشق لا يستفيق
الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين * السابع انه يورث القلب ثباتا

وشجاعة وقوة ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر فيجمع
الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله وضد هذا تجده في المتبع هواه من ذل النفس يفرق
وضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان المعصية لا تفارق رقابهم ابى الله البغال
الا ان يذل من عصاه وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه لا يذل من
واليت ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه فيه وله من العز بحسب
طاعته ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته الثامن انه يسد على الشيطان ١٤٥
مدخله من القلب فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهوى
في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ثم يعده
ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل اليها
بدون تلك الصورة فيكون القلب في اللهب فمن ذلك اللهب تلك الانفاس فيصير
التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات فان القلب قد احاطت به النيران
بكل جانب فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات
بالصور المحرمة ان جعل لهم في البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى حشر اجسادهم
كما اراها الله نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسع انه اراه لنفسه
يفرغ القلب للفكرة في مصلحته والاشتغال بها واطلاق البصر يشتت عليه ذلك مصالحه ليغفله عن
ويحول عليه بينه وبينها فتنفرط عليه اموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن امر ربه قال ذكر
تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واطلاق النظر يوجب البصر
هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشر ان بين العين والقلب منفذا وطريقا يوجب الفعال انتقال

احدهما عن الآخر وان يصلح بصلاحه ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي سكنى
هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة
اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض في
فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها ٭

فصل

الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول بينه وبين الوقوع فيه وهو اما
خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول
هذا المحبوب او خوف ما حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب لم يجد بدا وفواته اضر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من عشق الصور وشرح هذا ان النفس
لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب وبهذا يحتاج صاحبه ١٤٩
الى امرين ان فقدا او احدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات
المحبوب والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من
اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلا من كان بضد ذلك بل قد تكون البهائم احسن هذه
حالا منه الثاني قوة عزم وبصيرة تمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل صبر
قدر التفاوت ولكن يأبى له اضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من خسته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا لا
ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد منع الله سبحانه امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى اليقين
وبقوله يهتدي المهتدون وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون
وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينتفع به غيره من الناس وضد ذلك لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع ضده
به غيره ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره
ويمشي الناس في نوره والثاني قد طفئ نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه ظلمته
والثالث يمشي في نوره وحده ٭

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلى وعشق الصور ابدا بل هما ضدان لا يجتمعان بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الاعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان احبه لم يحبه الا لاجله او لكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبته وينقصها والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق يانف ويغار ان يشرك في محبته غيره ويمقته لذلك ويبعده ولا يحظيه بقربه ويعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة اليه فكيف بالحبيب الاعلى الذي لا تنبغي المحبة الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر سبحانه ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها بل يفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حيوة نافعة الا بمحبته وحده فليتخير احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة اما بمحبة الاوثان او بمحبة الصلبان او بمحبة النيران او بمحبة المردان او بمحبة النسوان او بمحبة الاثمان او بمحبة العراء والخلان او محبة ما هو دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل شعر ٥ انت القتيل بكل من احببته * فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي * فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون *

نسخة: يتلاقيان — نسخة: وينقصها — نسخة: ليصرف — نسخة: فليتخير ١٢ الاخرى — نسخة: العشراء العشر

فصل

وخاصية التعبد الحب مع الخضوع والذل للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد آخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت علاقة لتعلق الحب بالمحبوب قال الشاعر شعر ٥ وعلقت ليلى وهي ذات تمائم ولم يبد للاتراب من ثديها حجم * وقال الآخر شعر ٥ اعلاقة ام الوليد بعيدما * افنان راسك كالثغام المخلس

نسخة: بعيدما افنان راسك كالثغام المخلس

ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب قال الشاعر
يشكي المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي * فكانت لقلبي لذة الحب كلها المجنون
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي * ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه
سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما وقد اولع المتأخرون الغرام
باستعمال هذا اللفظ في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط
المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب
الى المحبوب احث السفر وقد جاء اطلاقه في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من
حديث عمار بن ياسر انه صلى صلوة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اما اني دعوت
فيها بدعوات كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسئلك بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي اللهم اني اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة واسئلك كلمة الحق في الرضاء ١٤٨
والغضب واسئلك القصد في الفقر والغنى واسئلك نعيما لا ينفد واسئلك قرة عين لا تنقطع
واسئلك الرضاء بعد القضاء واسئلك برد العيش بعد الموت واسئلك لذة النظر الى وجهك
الكريم واسئلك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر آخر طال شوق الابرار الى وجهك وانا الى لقائهم لقائي
اشد شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله
احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان اجل الله لآت لما علم الله سبحانه شدة شوق اوليائه الى لقائه وان قلوبهم لا
تهدى دون لقائه ضرب لهم اجلا وموعدا للقائه تسكن نفوسهم به واطيب العيش واللذة على الاطلاق
عيش المشتاقين المستأنسين فحياتهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة ولا حيوة للعبد المحبين
اطيب ولا انعم ولا اهنأ منها فهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وليس المراد منها الحيوة المشتركة بين
المؤمنين والكفار والابرار والفجار من طيب المآكل والمشرب والملبس والمنكح بل ربما

زاد اعداء الله على اوليائه فى ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة فهو صادق الوعد الذى لا يخلف وعده واى حيوة اطيب من حيوة
من اجتمعت همومه كلها وصارت هى واحدة فى مرضات الله ولم يستشعب قلبه بل بالاقبال
اقبل على الله واجتمعت ارادته وافكاره التى كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله
فصار ذكر محبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه وهو المستولى عليه وعليه تدور فى
همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان سكت سكت بالله وان نطق نطق بالله
وان سمع فبه يسمع وان ابصر فبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى
وبه يموت وبه يبعث كما فى صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه
تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى
يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به
ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن
سألنى لاعطينه ولئن استعاذ بى لاعيذنه وما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى عن قبض ۱۴۹ قبض
روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف نفس
الالهى الذى حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته فى امرين
اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل واخبر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب
اليه المتقربون ثم بعدها النوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا
لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة منه اخرى فوق المحبة الاولى فشغلت
هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه مثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء
المحبوب على محبه الصادق فى محبته التى قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا
المحب ان سمع سمع لمحبوبه وان ابصر ابصر به وان بطش بطش به وان مشى مشى به
فهو فى قلبه ومعه ومؤنسه وصاحبه فالباء هٰهنا باء المصاحبة وهى مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك
بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة واذا كان المخلوق يجد هذا فى المحبوب

محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين ؎ خيالك في عيني
وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب * وقال الآخر ؎ ويطلبهم عيني وهم
في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي * ومن عجب اني احن اليهم * فاسئل عنهم من
لقيت وهم معي * وهذا الطف من قول الآخر ؎ ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني *
اذ انت فيه مكان السر لم تغب * او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب * فقد
تحيرت بين الصدق والكذب * فليس شيء ادنى من المحب لمحبوبه وربما تمكنت المحبة
حتى يصير في المحبة ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى نفسه ولا ينساه كما قيل ؎
اريد لانسى ذكره فكانما * تمثل لي ليلى بكل سبيل * وقال الآخر ؎ يراد من القلب نسيانكم *
وتابى الطباع على الناقل * وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر
فان هذه الآلات آلات الادراك وآلات الفعل والسمع والبصر يوردان على القلب
الارادة والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض فتستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع
العبد بالله وبصره به كان محفوظا في آلات ادراكه فكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في
بطشه ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا
كان ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد
يقع بغير الاختيار فجاة وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة اللسان
التي لا تقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها وايضا فانفعال
اللسان عن القلب اتم من انفعال سائر الجوارح فانه ترجمانه ورسوله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره الذي يبصر به وبطشه ومشيه بقوله كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقا
لكونه مع عبده وكون عبده في ادراكاته بسمعه وبصره وحركته بيديه ورجليه وتامل
كيف قال بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولم يقل فلي يسمع ولي يبصر ولي يبطش
وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذ هي ادل على الغاية ووقوع هذه
الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست الباء هنا

واستدل

لما المحب من محبوبه

١٥٠

لمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي بمعونة الله لهم وان الباء
ههنا للمصاحبة انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي وانا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الآخر
انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه المعية هي المعية الخاصة المذكورة في
قوله تعالى ان الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين
وقوله تعالى لموسى وهارون انني معكما اسمع وارى فهذه الباء مفيدة بمعنى هذه المعية نسخہ لمعنی
دون اللام ولا يتأتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل العبودية الا
بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف
في حقه امانا فبالله يهون كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول
الاحزان والهموم والغموم فلا هم مع الله ولا غم مع الله ولا حزن مع الله وحيث
يفوت العبد معنى هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب وينقلب
حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه تعالى في محابه حصلت موافقة
الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته
ورهبته فيما يسألني ان افعل به ويستعيذني ان يناله مكروه وتحقق هذه الموافقة من الجانبين حتى
اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده
ويكره مساءته فمن هذه الجهة تقتضي انه لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا
ليحييه وما امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه وما منعه الا ليعطيه ولم يخرج من الجنة
في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج منها الا ليعيده
اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في كل منبت شعرة للعبد محبة تامة
لله لكان بعض ما يستحقه على عبده ؎ نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ◆
ما الحب الا للحبيب الاول ◆ كم منزل في الارض يألفه الفتى ◆ وحنينه ابدا لاول منزل ◆

فصل

ثم التتيم وهو آخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب اذا عبده ومنه تيم الله
اى عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اى مذلل قد ذللته
الاقدام فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد
ومقاماته فى العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله سبحانه اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية فى اشرف مقاماته وهى مقام الدعوة اليه ومقام التحدى
بالنبوة ومقام الاسرى فقال سبحانه وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وفى حديث الشفاعة اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة
الله له والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التى هى اكمل انواع المحبة مع اكمل انواع الخضوع كمال
والذل هذا هو حقيقة الاسلام وملة ابراهيم التى من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ۱۵۴
ملة ابراهيم الا من سفه الآية ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك والله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء واصل الشرك بالله الاشراك مع الله فى المحبة كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واخبر سبحانه ان من الناس من يشرك
به فيتخذ الانداد من دونه يحبهم كحب الله واخبر ان الذين آمنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم
وقيل بل المعنى انهم اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه وبين
اندادهم فى المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت اشد من محبة اولئك
والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الانداد هو فى هذه المحبة ولما كان مراد الله من خلقه هو
خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافرد احدهما عن الآخر تارة بالانكار
فقال تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال الله
خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى
ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم

من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى من ورائهم جهنم
ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم فاذا والى العبد
ربه وحده واقام له اولياء من شفعاء وعقد الموالات بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا
اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا اولياء من دون الله فهذا لون وذاك لون والشفاعة
الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان
بين اهل التوحيد واهل الشرك بالله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان
حقيقة العبودية وموجباته لا تحصل مع الاشراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من
لوازم العبودية وموجباتها فان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بل تقديمه في الحب على
الانفس وعلى الآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله
ولله كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان
وفي لفظ في الصحيح لا يجد عبد طعم الايمان الا من كان في قلبه ثلث خصال ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع الى الكفر بعد
اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار وفي الحديث الذي في السنن من احب لله
وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث آخر ما تحاب رجلان
في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها
وكل ما كانت اقوى كان اصلها كذلك

فصل

وههنا اربعة انواع من الحب يجب التفريق بينها وانما ضل من ضل بعدم التمييز بينها احدها محبة الله ولا
تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله الثاني
محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه من الكفر واحب الناس الى الله
اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثالث الحب لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب الله
ولا يستقيم محبة ما يحب الله الا بالحب فيه وله الرابع المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل

من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله وهذه محبة
المشركين ويبقى قسم خامس ليس مما نحن فيه وهي المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان الى
ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم
الا ان الهت عن ذكر الله وشغلته عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم الاولاد
ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ❖

فصل

ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في القلب لمحبه سعة لغير محبوبه وهي تقلب المحب
منصب لا يقبل المشاركة بوجه وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه
عليهما ابراهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث آخر اني ابرأ الى كل خليل من خلته ولما
سأل ابراهيم عليه السلام الولد فاعطيه فتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة غار الحبيب على وتعلق
خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره فامر بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ المأمور
به اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل
عليه الصلوٰة والسلام الى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح رتبة
وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى ما امر بشيء ثم ابطله رأسا بل لا بد ان يبقى بعضه او بدله كما
ابقى شريعة الفداء وكما ابقى استحباب الصدقة عند المناجات وكما ابقى الخمس الصلوات بين يدي
بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس في الفعل وخمسون في الاجر ❖

فصل

واما ما يظنه بعض الظانين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد صلى
الله عليه وسلم حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فان الله

سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب
المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين عليهما الصلاة والسلام والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا عن قلة العلم والفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

فصل

وقد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه ويهواه ولكن يترك اضعفهما محبة لاقواهما
محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة ما يفعله والخلاص من مكروه
كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم ان خاصية العقل ايثار اعلى المحبوبين على
ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما وتقدم ان هذا من كمال قوة الحب والبغض ولا يتم
له هذا الا بامرين قوة الادراك وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل بخلافه
يكون اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي
عليه واما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطاوعه على ايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه وقويت نفسه وتشجع
١٥٥ القلب على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه الادنى فقد وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى
من سلطان عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه
وعقله اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتأبى
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطباء عديم المروة فهكذا
اكثر مرضى القلب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له فاصل الشر من ضعف الادراك
وضعف النفس ودنائتها واصل الخير من كمال الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها
فالحب والارادة اصل كل فعل ومبدأه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبدأه
وهاتان القوتان في القلب اصل سعادته وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا سعادة العبد
يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر والنهي وهو يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب
وبهذا يزول الاشتباه في مسألة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق
انه قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى السبب

الباعث من الفعل وجودي ٭

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياريين فانما يؤثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي انما
يلتذ بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفاء بزواله ولهذا يقال شفا صدره وشفاء
قلبه قال ٭ هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها ٭ وليس منها شفاء الداء مبذول ٭ وهذا
مطلوب يؤثره العاقل حتى الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا قبيحا فيقصد بل
حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيؤلم نفسه من حيث يظن انه يحصل لذتها
ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شان من قصر نظره على العاجل ولم
يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل الناس من اثر لذة نفسه
وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة واسفه الخلق من باع نعيم الابد
وطيب الحيوة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة منغصة
بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء قال بعض العلماء فكرت في سعي فيما يسعى
العقلاء فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم جميعهم
انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا في الاكل والشرب وهذا في التجارة والكسب با با
وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء والاصوات المطربة وهذا باللهو واللعب فقلت هذا
المطلوب مطلوب العقلاء ولكن الطرق كلها غير موصلة اليه بل لعل اكثرها انما يوصل
الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلا اليه بل لعل اكثرها انما يؤثر الى الاقبال على الله وحده ومعاملته وحده
وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه الطريق ان فاته حظه من الدنيا
فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان حصل للعبد حصل له كل شيء وان
فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا ناله على اهنى الوجوه فليس للعبد انفع من اعلى
هذا الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته وسعادته وبالله التوفيق ٭

فصل

والمحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب لغيره ولا بد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل

ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله وحده وكل ما سواه مما يحب فانما محبته
تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة ملئكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان
محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره
والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من
لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة
وضعفها فما كان اشد منافاة لمحابه كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان
عادل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره
ما يحبه علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان
الشيء احب الى الرب كان احب اليه واثر عنده وكلما كان ابغض اليه كان ابغض اليه علمنا ان فيه من موالاة
الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية عبارة عن
ترق موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة والمحبوب
لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله والثاني ما يتألم به ولكن يحتمله لافضائه الى المحبوب
157 كشرب الدواء الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى
اعظم محبوب وانفعه والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شر لها لافضائه الى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر
الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه العاجل فيرغب عنه فان ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه غاية
الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة
فالامور اربعة مكروه يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى
مكروه فالمحبوب الموصل الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من جهتين والمكروه الموصل الى مكروه قد اجتمع فيه داعي الترك من
جهتين بقي القسمان الاخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس تؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل
والعقل والايمان يؤثر انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذا مرة والى هذا مرة وههنا محل الابتلاء شرعا وقدرا فداعي العقل
والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتدت ظلمة ليل المحبة
وتحكم سلطان الشهوة والارادة يقول يا نفس اصبري فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

فصل

واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان اصل الاقوال
الدينية تصديق الله ورسوله وكل ارادة تمنع كمال حب الله ورسوله وتزاحم هذه المحبة وشبهة تمنع كمال التصديق
فهي معارضة لاصل الايمان او مضعفة فان قويت حتى عارضت اصل الحب والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه
قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب
فلا تصلح الموالات الا بالمعادات كما قال تعالى عن امام الحنفاء المحبين انه قال لقومه افرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم تصلح لخليل الله
هذه الموالات والخلة الا بتحقيق هذه المعادات فان ولاية الله لا تصح الا بالبراءة من كل
معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون اي جعل هذه الموالات لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في
عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها
امام الحنفاء لاتباعه الى يوم القيمة وهي الكلمة التي قامت بها الارض والسموات وفطر
الله عليها جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف
الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في
هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا تدخل الجنة الا
به والحبل الذي لا يصل الى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح
دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر
من دار الاسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض
والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد
الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة

تنكس على لسان

والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
فلا يحب سواه بل كل ما كان يحب غيره فانما هو تبعا للمحبة وكونه وسيلة الى زيادة المحبة (نسخة: ولكل ما يحب)
ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه
ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به
ولا يستغاث في الشدائد الا به ولا يلتجى الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجتمع (نسخة: يستعان)
ذلك في حرف واحد وهو ان لا يعبد بجميع انواع العبادة الا هو فهذا هو تحقيق شهادة
ان لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة الشهادة
ومحال ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى
والذين هم بشهاداتهم قائمون فيكون قائما بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه
وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذا نبهت
انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب
بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح مريضة الى الموت اقرب وروح الى الحيوة
اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا فحيوة هذه الروح
بهذه الكلمة فيها فكما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من مات على
هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب
في جنة المأوى وعيشها الطيب عيش قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه (نسخة: به وعنه)
في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد ومن حرم
هذه الجنة فهو لتلك الجنة اشد حرمانا والابرار في نعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت
بهم الدنيا والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب اضيق من ضيق الصدر قال تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمؤمن المخلص
لله من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة
قبل الجنة الآجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله وقد سألوه عن الوصال في الصوم فقال اني لست كهيئتكم — وصاله
اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما يحصل له من الغذاء
عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسي وان ما يحصل له من ذلك امر مختصا به لا يشركه — في بعض النسخ [illegible]
فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه ويغنيه عنه كما قيل ؏ لها احاديث
من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد ؏ لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في اعقابها حادي ؏ — ١٦٠
اذا شكت من كلال السير اوعدها روح القدوم فتحيى عند ميعاد وكل ما كان في الوجود الشيء انفع للعبد وهو اليه احوج كان تألمه — تحيي
بفقده اشد وكل ما كان عدمه انفع كان تألمه بوجوده اشد ولا شيء على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله
واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حيوة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك
فعدمه آلم شيء له واشده عذابا عليه وانما تغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب لاشتغالها
بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه من الم العقوبة بفراق
احب شيء اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره
وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوات وحسرته حتى اذا
صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء
عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها
الى الله بل الالم والحسرة والعذاب هناك اشد باضعاف اضعاف ذلك فان — مضاعفة
المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبته في الدنيا بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشيء زائل لا بقاء له

فكيف بمن مصيبته بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعا فلو قضى الله
سبحانه بالموت من هذه الحسرة والندم لكان العبد جديرا به وان الموت لا يعود اكبر
امنيته واكبر حسراته هذا لو كان الالم على مجرد الفوات كيف وهناك من العذاب على
الروح والبدن امور اخرى وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف
هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي فاعرض على نفسك الآن اعظم محبوب
لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك
وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض
عنه كما قيل من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض وفي اثر الهي
ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت
كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء

فصل

ولما كانت المحبة جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها
في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل العبادة
والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذا الانابة وقد ذكر المحبة باسمها المطلق
كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة
المحبة مع الله التي يساوي فيها المحب بين محبة الله ومحبة الند الذي اتخذه من
دون الله واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده وهذه المحبة هي اصل السعادة
ورأسها التي لا ينجو احد من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة
ورأسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك
له لا يدخلون النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر
بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص
النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود كل منهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن

عال النوعين في العدد الثلث دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار والقرب في شأن
النوعين واصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك
له المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك
من الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول
الله والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب
اليك من نفسك فقال والذي بعثك بالحق لانت احب الي من نفسي فقال الآن يا عمر فاذا كان
هذا شأن محبة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ووجوب تقديمها على محبة النفس
ووالده وولده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها
على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه
١٦٢ بها فان الواجب له من ذلك كله ان يكون الى العبد احب اليه من ولده ووالده
بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه
من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه
الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع

فصل

وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها المحبة فهي علتها الفاعلية والغائية وذلك
لان الحركات ثلثة انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية
اصلها السكون وانما يتحرك الجسم اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعي فهو يتحرك للعود
اليه وخروجه عن مركزه ومستقره وانما يتحرك بالمحرك له فله حركة قسرية تحرك بتحريك
محركه وقاسره وحركته الطبيعية بذاتها تطلب بها العود الى مركزه وكلا حركتيه تابع للمحرك
القاسر فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين الآخرتين وهي تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات
الثلث تابعة للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات في هذه الثلث ان المتحرك ان كان له شعور

بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها فاما ان يكون علے وفق طبعه او لا فالاولے الاولی
هي الطبيعية والثانية هي القسرية اذا فهمت هذا فما في السموات والارض وما بينهما من ثبت
حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات
الاجنة في بطون امهاتها فانما هے بواسطة الملائكة المدبرات امرا والمقسمات امرا كما
دل علے ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام الايمان
بالملائكة فان الله وكل بالرحم ملائكة وبالقطر ملائكة وبالنبات ملائكة وبالرياح وبالافلاك وبالشمس والقمر والنجوم
ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين على يمينه وعلى شماله وحافظين من بين يديه
ومن خلفه ووكل ملائكة بقبض روحه وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة
لمسائلته وامتحانه في قبره وعذابه هناك او نعيمه وملائكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره بمسائلته
وملائكة بتعذيبه في النار او نعيمه في الجنة ووكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه وملائكة بنعيمه
الى حيث امرت به وملائكة بالقطر تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء الله ووكل ملائكة ۱۶۳
بغرس الجنة وعمل آلاتها وفرشها وثيابها والقيام عليها وملائكة بالنار كذلك فاعظم جند الله
الملائكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله
وهم يدبرون الامر ويقسمونه باذن الله وامره قال تعالے اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالے وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه
بطوائف من الملائكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا وقال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا وقال تعالے والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد ذكرنا
معنے ذلك وسر الاقسام في كتاب اقسام القرآن اذا عرف ذلك فجميع تلك الحركات
والحركات والارادات والافعال هي عبادات لرب الارض والسموات وجميع الحركات
الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب النيرات

ولا هبت الرياح المسخرات ولا مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات
ولا انصدع عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاجرات ولا تحركت المدبرات
والمقسمات ولا سبحت بحمد فاطر الارض والسموات وما فيهما من انواع المخلوقات فسبحان الذي تسبحه السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ✤ ✤ ✤ (الاخرون)

فصل

اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحبة وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة
والاصلاح للموجودات الا بان تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وباريها وحده كما لا وجود لها
الا بابداعه وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولكانتا معدومتين ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على
ان يبقيهما على وجه الفساد ولكن لا يمكن ان تكون على وجه الصلاح والاستقامة الا بان يكون
الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان للعالم الهان لفسد نظامه ١٦٤
غاية الفساد فان كل اله يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية اذ الشركة
نقص في كمال الالهية والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها ناقصا فان قهر احدهما الاخر (ينافي)
كان هو الاله وحده والمقهور ليس باله وان لم يقهر احدهما الاخر لزم عجز كل منهما ونقصه
ولم يكن تام الالهية فيجب ان يكون فوقهما اله قاهر لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما (ثم آخر)
بما خلق وطلب كل منهما العلو على الاخر وفي ذلك فساد امر السموات والارض ومن
فيهما كما هو المعهود من فساد البلد اذا كان فيها ملكان متكافيان وفساد الزوجة اذا كان
لها بعلان والشول اذا كان فيه فحلان واصل فساد العالم انما هو من فساد الملوك (اختلاف)
والخلفاء ولهذا لم يطمع اعداء الاسلام فيهم في زمن من الازمنة الا في زمن تعدد الملوك (لم تطمع اعداء المسلمين)
من المسلمين واختلافهم وانفراد كل واحد منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح
السموات والارض واستقامتهما وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة
على انه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير

وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال الله تعالى ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان
الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى ام اتخذوا
آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش
عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقال تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل — ن: بالمغالبة
الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الآية الاخرى ولعلا بعضهم على بعض قال
شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف تعبدونهم من
دونه وهم لو كانوا آلهة كما يقولون لكانوا عبيدا له قال ويدل على هذا وجوه منها قوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي يرجون
١٦٥ رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تعبدونهم من دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه
سبيلا قال لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى — ن: للتقرب
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل بعلى كقوله فان اطعنكم — ن: فانها
فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه وهو
سبحانه قد قال لو كان معه آلهة كما يقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبتغي
التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه قال تعالى لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك
الآلهة عبيدا له فماذا تعبدون عبيده من دوني — ن: تعبدونه

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة
من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب منه
والانفصال عنه والبعد منه والصد والهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك — ن: والانقطاع اليه
من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه — ن: منفعتها

وآخرته وهذه المحبة هي عنوان السعادة وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه
وآخرته وهي عنوان الشقاوة ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه
وانما يصدر ذلك عن جهله وظلمه فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك
ظلم من الانسان لنفسه اما ان تكون جاهلة بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة
بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم واما عالم بما في محبته من الضرر
لكن يؤثر هواه على علمها وقد تتركب محبتها من امرين من اعتقاد فاسد وهوى مذموم
وهذا حال من اتبع الظن وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد
فاسد وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فيتفق شبهة يشتبه
بها الحق بالباطل يزين له امر المحبوب وشهوة تدعوه الى وصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة
على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما اذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة
له حكم متبوعه فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له
حكمها حكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان انبسط نفعه ١٦٦
وان انقبض نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وربح وقوة والمحبة المضرة
المذمومة توابعها وآثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في آثارها
ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية
فكل ما تولد من الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه وكل ما تولد من المعصية فهو خسران
لصاحبه وبعد قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب
لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن
طاعتهم وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها
تكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به
عمل صالح والثاني نفس افعالهم فكتب لهم فليتأمل قتيل المحبة هذا الفصل حق التأمل

فصل

وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان حقا ام باطلا
فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة
والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق
بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى
دين عظيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فلذلك
يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر ❁
هو دان الرباب اذ كرهوا الدين ❁ فاصبحوا بالعزة وصيان ❁ ويكون من الادنى الى الاعلى
كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين الله بدين فدان
الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل وانقاد والدين ١٦٧
الباطن لا بد فيه من الخضوع والحب كالعبادة سواء بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم
الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله تعالى يوم القيمة يوم الدين
لانه اليوم الذي يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك
يتضمن جزاءهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزاء او يوم الحساب وقال تعالى فلولا ان
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا تردون الروح الى مكانها ان كنتم
غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين وهذه الآية تحتاج الى تفسير فانها سيقت للاحتجاج
عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل
الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فيكون الملزوم دليلا على لازمه ولا يجب العكس
ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته
وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا متصرفا فيهم يميتهم اذا شاء ويحييهم اذا شاء ويأمرهم وينهاهم
ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شأنه فان اقروا به آمنوا بالبعث

والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروه وكفروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين ولا محكوم
عليهم وما لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى
رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين وهم عند المحتضر يعاينون
موته اي فهلا يردون الروح الى مكانها ان كان لهم قدرة وتصرف ولستم بمربوبين لمعبود
لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره وهذه غاية التعجيز لهم اذا تبين عجزهم عن
من مكان الى مكانها الذى رد نفس واحدة الى مكانها ولو اجتمع على ذلك الثقلان فيا لها من آية دلت على وحدانيته
وربوبيته سبحانه وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم الدين دينان دين شرعي
امري ودين حسابي جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله امرا وجزاء والمحبة اصل كل واحد من
الدينين فما شرعه الله سبحانه فانه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه
الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد لله به انما يقبل اذا كان عن محبة ورضى كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
وهذا الدين قائم بالمحبة وبسببها شرع ولاجلها شرع وعليها اسس وكذلك دينه الجزائي ١٦٨
فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وكل من الامرين محبوب للرب فانهما
عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب صفاته واسمائه ويحب من يحبها وكل
واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو سبحانه على صراط مستقيم في امره ونهيه
وثوابه وعقابه كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على
الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ولما علم نبي الله ان
ربه على صراط مستقيم في خلقه وامره وثوابه وعقابه وقضائه وقدره ومنعه وعطائه وعافيته
مخرج وبلائه وتوفيقه وخذلانه لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس الذي تقتضيه
اسماؤه وصفاته من العدل والحكمة والرحمة والاحسان والفضل ووضع الثواب في
مواضعه والعقوبة في موضعها اللائق بها ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية
والاضلال كل ذلك في اماكنه ومحاله اللائقة به بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء

اوجب له ذلك العلم والعرفان اذ نادى على رؤس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غير
خائف بل متجرد لله انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه الآية ثم اخبر عن
عموم قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شئ لعظمته فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
فكيف اخاف من ناصيته بيد غيره وهو فى قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا
من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم فكل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف
العبد جوره ولا ظلمه فلا اخاف ما دونه فان ناصيته بيده فلا اخاف جوره وظلمه فانه على صراط مستقيم وهو سبحانه ماض
فى عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج فى تصرفه فى عباده عن العدل والفضل
ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله
وحكمته وهو على صراط مستقيم فى هذا وهذا وفى الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال
اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك
اسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك
او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى
وجلاء همى وحزنى وذهاب همى وغمى الا اذهب الله همه وغمه وابدله فرجا مكانه وهذا
يتناول حكم الرب الكونى والامرى والقضاء الذى يكون باختيار العبد وبغير اختياره
وكلا الحكمين ماض فى عبده وكلا القضائين عدل فيه فهذا الحديث مشتق من هذه
الآية بينهما اقرب نسب وبالله التوفيق

فصل

ونختم الجواب بفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة وان كانت
اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت الارادات والاقوال
والاعمال وفسد ثغر التوحيد كما تقدم وسنقرره ايضا ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى
انما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهم اللوطية والنساء فاخبر عن عشق امرأة
العزيز ليوسف وما راودته وكادته به واخبر عن الحال التى صار اليها يوسف بصبره وعفته
وتقواه مع ان الذى ابتلى به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله عليه فان مواقعة الفعل

١٦٩

بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي هاهنا في غاية القوة وذلك لامور

احدها ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان الى الماء

والجائع الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء

وهذا لا يلام اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من حديث يوسف يذم

ابن عطية الصفار عن ثابت البناني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي

من دنياكم الطيب والنساء اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني ان يوسف

عليه السلام كان شابا وشهوة الشاب وحدته اقوى الثالث انه كان عزبا لا زوجة له

ولا سرية تكسر شدة الشهوة الرابع انه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر

ما لا يتأتى لغيره في وطنه واهله ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان بحيث

كل واحد من هذين الامرين يدعو الى مواقعتها السادس انها غير آبية ولا ممتنعة فان كثيرا من الناس مواقعتها

يزيل رغبته في المرأة اباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير

من الناس يزيده الاباء والامتناع زيادة حب كما قال الشاعر ـ وزادني كلفا في ١٧٠

الحب ان منعت ✽ احب شيء الى الانسان ما منعا فطباع الناس مختلفة في ذلك

فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها وتضمحل عند ابائها وامتناعها واخبرني بعض

القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم

من يتضاعف حبه وارادته بالمنع ويشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة بالظفر نظير

ما يحصل من لذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره واللذة بادراك المسألة بعد استصعابها

وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب

وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه

في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي

الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه هي ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة

والراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان مملوكا لها في الدار

بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الانس سابقا على الطلب وهو الانس

من اقوى الدواعی کما قیل لامراة شریفة من اشراف العرب ما حملک علی الزنا قالت
السواد النسخة قرب الوساد وطول السراد تعنی قرب وساد الرجل من وسادی وطول السراد بیننا
فارته اياه الحادی عشر انها استعانت علیه بائمة المکر والاحتیال فارته ایاهن وشکت حالها الیهن لتستعین
بهن علیه فاستعان هو بالله علیهن فقال والا تصرف عنی کیدهن اصب الیهن واکن
من الجاهلین الثانی عشر انها توعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اکراه اذ هو تهدید من
یغلب علی الظن وقوع ما هدده به فیجتمع داعی الشهوة وداعی السلامة من ضیق السجن
القوة والصغار الثالث عشر ان الزوج لم یظهر منه الغیرة والنخوة ما یفرق به بینهما ویبعد کلا منهما عن
قايلها صاحبه بل کان غایة ما خاطبها به ان قال یوسف اعرض عن هذا واستغفری
لذنبک انک کنت من الخاطئین وشدة الغیرة للرجل من اقوی الموانع وهنا لم یظهر
منه غیرة ومع هذه الدواعی کلها فاثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله علی ان اختار
السجن علی الزنا فقال رب السجن احب الی مما یدعوننی الیه وعلم انه لا یطیق صرف
١٧١ ذلک عن نفسه وان ربه تعالی ان لم یعصمه ویصرف عنه کیدهن صبا الیهن بطبعه وکان
من الجاهلین وهذا من کمال معرفته بربه وبنفسه وفی هذه القصة من العبر والفوائد
والحکم ما یزید علی الف فائدة لعلنا ان وفقنا الله ان نفردها فی مصنف مستقل

فصل

والطائفة الثانیة الذین حکی الله عنهم العشق هم اللوطیة کما قال تعالی وجاء اهل
المدینة یستبشرون قال ان هؤلاء ضیفی فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا
اولم ننهک عن العالمین قال هؤلاء بناتی ان کنتم فاعلین لعمرک انهم لفی سکرتهم
عشقت یعمهون فهذا عشقه فحکاه سبحانه عن طائفتین عشق کل منهما ما حرم علیه من الصور ولم یبال بما فی
لعمر الله عشقه من الضرر وهذا داء اعیی الاطباء دواؤه وعز علیهم شفاؤه وهو والله الداء العضال
والسم القتال الذی ما علق بقلب الا وعز علی الوری استنقاذه من اساره
ولا اشتعلت ناره فی مهجة الا وصعب علی الخلق تخلیصها من ناره وهو اقسام
فانه وهو تارة یکون کفرا لمن اتخذ معشوقه ندا یحبه کما یحب الله فکیف اذا کانت

محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم الشرك والله
لا يغفر ان يشرك وانما يغفر بالتوبة الماحية وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان لصاحبه
يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق
ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه النفيس
ما يقدر عليه وبذل لربه ان بذل اردى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضات معشوقه وطاعته والتقرب
اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتأمل حال اكثر
عشاق الصور هل تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم في كفة وايمانهم
في كفة ثم زن وزنا يرضي الله ورسوله ويطابق العدل وربما صرح العاشق منهم بان وصل
معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث ~ يترشفن من فمي رشفات * الشاعر
هن احلى فيه من التوحيد * وكما صرح الخبيث الآخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة
ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان ومن هذه الحال قال الشاعر ~ وصلك اشهى ۱۷۲
الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل * ولا ريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكثير
من العشاق يصرح بانه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه
قلبه كله فصار عبدا مخلصا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله استفرغ
بعبودية المخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قوة حبه
وخضوعه وذله لمعشوقه فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم ومفسدة
الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك
وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول لئن ابتلى بالفاحشة مع تلك الصورة احب
الي من ان ابتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله *

فصل

ودواء هذا الداء القتال ان يعرف انما ابتلي به من الداء المضاد للتوحيد اولا ثم يأتي من
العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه ويكثر اللجأ والتضرع الى الله
سبحانه في صرف ذلك عنه وان يرجع بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص

لله وهو الداء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل
باخلاصه فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فانه انما يتمكن
من قلب فارغ كما قال ؎ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا
خاليا فتمكنا * وليعلم العاقل ان العقل والشرع موجبان تحصيل المصالح وتكميلها واعدام
المفاسد وتقليلها فاذا اعرض للعاقل امر يرى فيه المصلحة والمفسدة وجب عليه امران
امر علمي وامر عملي فالعلمي طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له
الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية
ولا دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه من المصلحة وذلك
من وجوه احدها الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تعالى وذكره فلا يجتمع في القلب
هذا وهذا الا ويقهر احدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد كما قيل ؎ فما في الارض اشقى من محب * وان
وجد الهوى حلو المذاق * تراه باكيا في كل حين * مخافة فرقة او لاشتياق * فيبكي ان
ناوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق * فتسخن عينه عند الفراق * وتسخن عينه
عند التلاق * والعشق وان استلذ به صاحبه فهو من اعظم عذاب القلب الثالث
ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه
فقلبه كالعصفور في كف الطفل يسيمها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب فعيش
العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي عيش المسيب المطلق فالعاشق كما قيل ؎ طليق
برأي العين وهو اسير * عليل على قطب الهلاك يدور * وميت يرى في صورة الحي
غاديا * وليس له حتى النشور نشور * اخو غمرات ضاع فيهن قلبه * فليس له حتى الممات
حضور * الرابع انه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين
والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب واقباله على
الله وعشق الصور اعظم شيء تشعيثا وتشتيتا له واما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة

فارغا

نسخة قد يوجبان

ايثار

١٧١

عذر

نسخة استعذب العاشق

٣٠

نسخة كعصفور نسخة يسومها تعيش

المشوه

نسخة عند اخو

نسخة لم في نسخة لشعث

تشعيثا

لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه فمصالح دنياه اضيع واضيع الخامس ان آفات الدنيا والآخرة اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من العشق اقوى اتصاله به بعد عن الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور واذا ابعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يأله وبالا ولم يدع اذى يمكنه ايصاله اليه الا اوصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه واحرص الخلق على غيه وفساده وبعده من وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه وولايته السادس انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه افسد الذهن واحدث الوساوس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها واخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها بل بعضها مشاهد بالعيان واشرف ما في الانسان عقله وبه يتميز عن سائر الحيوانات فاذا عدم عقله التحق بالبهائم بل ربما كان حال الحيوان اصلح من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضر به الا العشق وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل ؎ قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين * العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين *

السابع انه ربما افسد الحواس او نقصها اما فسادا معنويا او صوريا اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسد فسدت العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فان الراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى اذا زالت رغبته فيه ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه كما قيل ؎ هويتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي الومها * والداخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه ولا يرى عيو

الامن دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين كانوا في الاسلام بعد الكفر خير
من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ينقض عرى
الاسلام عروة عروة اذا ولد في الاسلام من لا يعرف الجاهلية واما افساده للحواس
ظاهر فانه يمرض البدن وينهكه وربما ادى الى تلفه كما هو المعروف في اخبار من
قتله العشق وقد رفع الى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدا على
عظم فقال ما شان هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق
عامة يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي
المعشوق على القلب من العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث
لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل
تلك القوى فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر
فتتغير افعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه كما قيل
١٧٥ شعر الحب اول ما يكون لجاجة * ياتي بها وتسوقه الاقدار * حتى اذا خاض الفتى
لجج الهوى * جاءت امور لا تطاق كبار * والعشق مباديه سهلة حلوة واوسطه هم
وشغل قلب وسقم وآخره عطب وقتل ان لم يتداركه عناية من الله كما قيل
شعر وعش خاليا فالحب اوله عنا * واوسطه سقم وآخره قتل * وقال آخر شعر
تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق * رأى لجة ظنها موجة *
فلما تمكن منها غرق * والذنب له فهو الجاني على نفسه وقد قعد تحت المثل السائر
يداك اوكتا وفوك نفخ *

فصل

والعاشق له ثلث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط ومقام انتهاء فاما مقام
ابتدائه فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه
متعذرا قدرا وشرعا فان عجز عن ذلك وابى قلبه الا السفر الى محبوبه وهذا
مقام التوسط والانتهاء فعليه كتمانه ذلك وان لا ينسبه الى الخلق ولا يسبب

بمحبوبه ولا يتمكن من الناس فيجمع بين الظلم والشرك فان الظلم في هذا الباب من
اعظم انواع الظلم وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه
يعرض المعشوق بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانقسامهم الى مصدق
ومكذب واكثر الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان فعل
بفلان او بفلانة كذبه واحد وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون وخبر العاشق للمتهتك عنه
المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول
به عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض بل لو
جمعهما مكان واحد اتفاقا جزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما وجزمهم في هذا
الباب على الظنون والتخيل والشبهة والاوهام والاخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات
المشاهدة وبذلك وقع اهل الافك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم المبرأة من فوق سبع سموات لشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها
وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه براءتها 176
والذب عنها وتكذيب قاذفها لكان امرا آخر والمقصود ان في اظهار المبتلى عشق من لا
يحل له الاتصال به من ظلمه واذاه ما هو عدوان عليه وعلى اهله وتعريض لتصديق كثير
من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم وانتشر
وصار ذلك الواسطة بين الراشي والمرتشي صار ذلك الواسطة ظالما واذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم قد لعن الرائش وهو الواسطة ديوثا ظالما بين الراشي والمرتشي لايصال
الرشوة فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد
العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد العاشق على ظلم المعشوق وغيره ممن
يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس او مال او عرض فان كثيرا ما يتوقف حصول
غرضه على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه وكم قتيل طل دمه بهذا السبب من
زوج وسيد وقريب وكم خببت امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه وهو من اكبر الكبائر واذا

اتو كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه وان يستام
على سومه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وامته حتى يتصل بهما وعشاق
الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان في طلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن اثم
الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فان التوبة وان
ظلم الوالد اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيمة فان من ظلم الوالد بافساد ولده
الخيانة وفلذة كبده ومن هو اعز عليه من نفسه فظلم الزوج بافساد حبيبته والجناية على فراشه اعظم
من ظلمه باخذ ماله كله ولهذا يؤذيه ذلك اعظم مما يؤذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك
عنده الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته
ما شئت كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما
١٧٧ تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا
رحم محرم تعدد الظلم وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع
رحم ولا من لا يأمن جاره بوائقه فان استعان العاشق على وصال معشوقه
الاكس بشياطين الجن اما بسحر او استخدام او نحو ذلك ضم الى الشرك والظلم كفر السحر فان
لم يفعله هو ورضي به كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصوده وهذا ليس ببعيد
من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون على الاثم والعدوان واما
يقترن ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره فامر لا يخفى فانه
اغراض اذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق امور اخر يريد من العاشق اعانته
عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان فالمعشوق
يعين العاشق على ظلم من اتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق
يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه فكل منهما يعين
الآخر على اغراضه التي يكون فيها ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما

في القبيح لتعاونهما بذلك على الظلم وكما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي حتى ربما يسعى له في منصب
لا يليق به ولا يصلح لمثله او في تحصيل مال من غير حله او في استطالته على غيره فاذا
اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما
هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ اموالهم والتوصل
بها الى معشوقه بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما
ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله ليتوصل به الى معشوقه فكل هذه
الآفات واضعافها واضعاف اضعافها تنشأ من عشق الصور وربما حمله على الكفر الصريح
وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب معشوقه كما جرى لبعض المؤذنين
حين ابصر امرأة جميلة على سطح ففتن بها فنزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت
هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك ففعل فرقي في ذلك اليوم على درجة
عندهم فسقط منها فمات ذكر هذا عبد الحق في كتاب العاقبة له واذا اراد النصارى ان ١٧٨
ينصروا الاسير اراوه امرأة جميلة وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه
بذلت له نفسها ان دخل في دينها فهنالك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من
ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل
منهما ظالم لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمهما بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض العاشق للتلف
وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله
ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق
ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه ولا سيما اذا جاد بالوصال لغيره وكم للعشق من
قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة وافقر من غنى واسقط من مرتبة وشتت من شمل
وكم افسد من اهل للرجل وولده فان المرأة اذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا

لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس
من لم يؤثر هذا ومنهم من لم يؤثر هذا فعلى العاقل ان يحكم على نفسه بسبب عشق الصور لئلا
يؤذيه ويؤديه ذلك الى الهلاك والى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك
فهو المفرط بنفسه المغرر بها فاذا اهلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه
معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان
سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الاياس من ذلك
لم يحدث له العشق فان اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له
ذلك فان اطاع مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من
لذة وصاله اما خوف ديني كخوف النار وغضب الجبار واحتقاب الاوزار وغلب هذا
الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق فان فاته هذا الخوف وقارنه خوف
دنيوي كخوف اتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من
١٧٩ عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه وكذلك اذا خاف من
فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق
اندفع عنه العشق فان انتفى ذلك كله وغلبت محبة المعشوق لذلك انجذب اليه القلب
بالكلية ومالت اليه النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم آفات العشق ومضاره
ومفاسده فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها
وزوال ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروءة ورقة الحاشية ولطف
الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك قد عشق فلانة فقال الحمد لله
الذي صيره الى طبع الآدمي وقال بعضهم العشق داء افئدة الكرام وقال غيره العشق
لا يصلح الا لذي مروءة ظاهرة وخليقة طاهرة او لذي لسان فاضل واحسان
كامل او لذي ادب بارع وحسب ناصع وقال آخر العشق يشجع الجبان ويصفي
ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الاخلاق وهو
انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال آخر العشق يزيل الاثقال

ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام كما قيل ◌ جانب
سيهلك في الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الحب غائله * كريم يميت السر
حتى كانه * اذا استفهموه عن حديثك جاهله * يؤديان يمشي سقيما لعلها * اذا سمعت يودبان يمسي
عنه بشكوى تراسله * ويهتز للمعروف في طلب العلى * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *
فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يروض النفس و
يهذب الاخلاق اظهاره طبعي اضماره تكلفي وقال الآخر من لم تبتهج نفسه بالصوت الشجي والوجه
البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد في ذلك المعنى ◌ اذا انت لم
تعشق ولم تدر ما الهوى * فما لك في طيب الحيوة نصيب * وقال الآخر ◌
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فقم واعتلف تبنا فانت حمار * وقال آخر ◌ اذا
انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا * وقال بعض العشاق ولو العفة والصيانة اذا عفوا
تستروا واذا عشقوا تظرفوا وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع بمن تهوى لو ظفرت به فقال كنت امتع طرفي في وجهه واروح
قلبي بذكره وحديثه واستر منه ما لا احب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل الى ما ينقض ١٨٠
عهده ثم انشد ◌ اخلو به فاعف عنه تكرما * خوف الديانة لست من عشاقه *
كالماء في يد صائم يلتذ به * ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه * وقال ابو اسحق بن ابراهيم على
ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحيي
موات القلوب ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال عن
آخر العشق للارواح بمنزلة الغذاء للابدان ان تركته ضرك وان اكثرت منه
قتلك وفي ذلك قيل ◌ خليلي ان الحب فيه لذاذة * وفيه شقاء دائم وكروب * العشق
على ذاك ما عيش يطيب بغيره * ولا عيش الا بالحبيب يطيب * ولا خير في الدنيا
بغير صبابة * ولا في نعيم ليس فيه حبيب * وذكر الخرائطي عن ابن غسان قال الى ابن
مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول ◌ وهويته من قبل قطع تمائمي علي
متمائلا مثل القضيب الناعم * فسألها احرة انت ام مملوكة قالت بل مملوكة متمائلا
فقال بمن تهوين فتلكأت فاقسم عليها فقالت ◌ وانا التي لعب الهوى بفؤادها * من هواك

قتلت بحب محمد بن القاسم ÷ فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن
جعفر بن ابى طالب فقال هؤلاء والله فتن الرجال وكم والله قد مات بهن كريم وعطب وقال
بهن سليم وجاءت جارية عثمان بن عفان رضى الله عنه تستعدى على رجل من
الانصار قال لها عثمان ما قصتك قالت كلفت يا امير المؤمنين بابن اخيه فما انفك
اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك اراعيه الى ابن
يا امير المؤمنين انها له ونحن لا ننكر فساد العشق الذى يتعلق به فعل الفاحشة بالمعشوق متعلقه
وانما الكلام فى العشق العفيف من الرجل الظريف الذى يابى له ايمانه ودينه وعفته
ومروته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقه بالحرام وهذا عشق السلف الكرام
والائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد الفقهاء السبعة
عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه ومن شعره ۔ كتمت الهوى فقتلهم
حتى اضر بك الكتم ÷ ولامك اقوام ولومهم ظلم ÷ فنم عليك الكاشحون وقبلهم ÷ عليك
الهوى قد ينفع الكتم ÷ فاصبحت كالنهدى اذ مات حسرة ÷ على اثر هند او كمن شفه سقم ١٨١ نسخه كالهندى
تجنبت اتيان الحبيب تاثما ÷ الا ان هجران الحبيب هو الاثم ÷ فذق هجرها قد كنت
تزعم انه ÷ رشاد الا يا ربما كذب الزعم ÷ وهذا عمر بن عبد العزيز عشق جارية فاطمة رشاد الا يا وسنه
بنت عبد الملك بن مروان امرأته مشهورة وكانت جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان
يطلبها من امرأته ويحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجارية فى نفس عمر فلما استخلف
امرت فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا فى حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر
وقالت يا امير المؤمنين انك كنت معجبا بجاريتى فلانة فسالتنيها ان اهبها لك
فابيت عليك والآن فقد طابت نفسى لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح
فى وجهه وقال عجلى بها على فلما دخلت بها عليه ازداد بها عجبا وقال لها القى ثيابك ادخلتها
ففعلت ثم قال لها على رسلك اخبرينى لمن كنت ومن اين صرت لفاطمة
فقالت اغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت فى رقيقه ذلك قالت فاخذنى رقيق
وبعث بى الى عبد الملك فوهبنى لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت

بك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة قال شدي عليك
ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الى فلان بن
فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الى جميع ما اغرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه
شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل اباك
قد وقع بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست اذا
ممن نهى نفسه عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف قالت اين وجدك بي
يا امير المؤمنين قال على حاله ولقد ازداد ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات
رحمه الله وهذا ابو بكر بن محمد بن داود الظاهري العلم المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث والتفسير والادب
وله قول في الفقه وهو من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه في
مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك قال حب من تعلم اورثني ما ترى
فقلت وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والآخر ١٨٢
اللذة المحظورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فمنعني منها
ما حدثني ابي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله
الجنة ثم انشد ؏ انظر الى السحر يجري في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي *
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كانهن نمال دب في عاج * ثم انشد ؏
مالهم انكروا سوادا بخديه ولا ينكرون ورد الغصون * ان يكن عيب خده بدو الشعر
فعيب العيون شعر الجفون * فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته
في الشعر فقال غلبة الوجد وملكة النفس دعت اليه ثم مات من ليلته وبسبب
معشوقه صنف كتاب الزهرة ومن كلامه فيه من يئس ممن يهواه ولم يمت من
وقته سلاه وذلك ان اول روعات اليأس تأتي القلب وهو غير مستعد لها
فاما الثانية تأتي القلب وقد وطأت لها الروعة والتقى هو وابو العباس بن شريح
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسألة من الايلاء فقال له ابن

شريح اثبت ابن تقول من طالت لحظاته كثرت حسراته احذق منك بالكلام على
الفقه فقال الآن كان ذلك فاني اقول: انزه في روض المحاسن مقلتي * ارض
وامنع نفسي ان تنال محرما * واحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر
الاصم تهدما * وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي ورده لتكلما * رأيت
الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست ارى ودا صحيحا مسلما * فقال له ابو العباس
ابن شريح بم تفخر علي ولو شئت لقلت: ومطاعمه كالشهد في نغماته * قد بت امنعه تفتخر علي
لذيذ سناته * بصبابه وبحسنه وحديثه * وانزه اللحظات عن وجناته * حتى اذا ما الصبح سناته بحسنه في
راح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته * فقال ابو بكر يحفظ عليه الوزير ما اقر به حتى يقيم نغماته لاح
شاهدين على انه ولى بخاتم ربه وبراءته فقال ابن شريح يلزمني في هذا ما يلزمك نغماته
في قولك: انزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما * فضحك ارض
الوزير فقال لقد جمعتما لطفا وظرفا ذكر ذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجارته يوما وقال
١٨٣
فتيا صورتها: يا ابن داود يا فقيه العراق * افتنا في قواتل الاحداق * هل عليها بما اتت
من جناح * ام حلال لها دم العشاق * فكتب تحت البيتين بخطه: عندي جواب
سائل العشاق * فاسمعه من قرح الحشا مشتاق * لما سئلت عن الهوى هيجتني
وارقت دمعا لم يكن بمهراق * ان كان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب بمراق معشوق
انعم العشاق * قال صاحب كتاب منازل الاحباب شهاب الدين محمود بن
سليمان بن مهدي صاحب كتاب الانشا وقلت في جواب البيتين على قافيتها سلمان بن فهد
مجيبا للسائل: قل لمن جار سائلا عن لحاظ * من يلعبن في دم العشاق *
ما على السيف في العدا من جناح * ان تنحى الحذر عن دم مهراق * وسيوف اللحاظ الورى
اولى بان * تصفح عما جنت على العشاق * انما كل من قتل شهيد * ولهذا يلقى فناه عن جنته قتلن
وهو باق * ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته رحمه الله: قل للامام ابي الخطاب مسألة * الكلوذاني
جاءت اليك وما اخلق سواك لها * ماذا على رجل رام الصلوة فمذ * لاحت خلق

مخاطرة ذات الجمال لها ✤ فاجابه تحت سؤاله ؎ قل للاديب الذي وافى بمسالة
سرت فؤادي لما ان اضحت لها ✤ ان الذي فتنته عن عبادة ربه ✤ فريدة ذات — عبادة
حسن فانثنى ولها ✤ ان تاب ثم قضاء عنه عبادة ربه ✤ فرحمة الله تغشى من عصى — عبادته
ولها ✤ وقال عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ سمعت انينا — يوم
فاصغيت اليه فاذا هو يقول ؎ اشجاك نوح حمائم السدر ✤ فاهجن منك
بلابل الصدر ✤ ام عز نومك ذكر غانية ✤ اهدت اليك وساوس الفكر ✤ يا ليلة طالت
علي ولنف ✤ ليشكو السهاد وقلة الصبر ✤ اسلمت من تهوى لحر جوى ✤ متوقد كتوقد — كث
الجمر ✤ فالبدر يشهد انني كلف مغرا ✤ بحب شبيهة البدر ✤ ما كنت احسبني اهيم
بحبها ✤ حتى بليت وكنت لا ادري ✤ ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء واذا به
قد عاد البكاء والانين ثم انشد يقول ؎ اشجاك من ريا خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر واغتاد مهجتك — ٣٨ الغاد
الهوى برشيقة وانتاح مقلتك الخيال الزائر ناديت ليلا والظلام كانه يم تلاطم فيه موج زاخر والبدر يسري في السماء كانه — بحر
ملك ترجل والنجوم عساكر وترى به الجوزاء ترقص في الدجى رقص الحبيب علاه سكر طاهر يا ليل طلت على محب ما له الا الصباح — علاه
مساعد ومؤازر فاجابني مت حتف انفك انما علمي بان الهوى لهو الهوان الحاضر قال وكنت ذهبت عند ابتدائه
بالابيات فلم ينتبه الا وانا عنده فرايت شابا مقبلا شبابه قد خرق الدمع في — مقتبلا
خده خرقين فسلمت عليه فقال اجلس من انت قلت عبد الله بن معمر — فقلت
القيسي قال الك حاجة قلت نعم كنت جالسا في الروضة
فما راعني الا صوتك فبنفسي فديتك فما الذي تجده — افديك
فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري
غدوت يوما الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة قد
اقبلن يتهادين مثل القطا واذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت
علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم
اسمع لها خبرا ولم اقف لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم انصرع — صرخ

واكب مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه بورس ثم انشد يقول شعر اراكم
بقلبي من بلاد بعيدة * فيا هل تروني بالفؤاد على بعدي * فؤادي وطرفي يأسفان
عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي * ولست الذ العيش حتى اراكم * ولو كنت
في الفردوس في جنة الخلد * فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفره من ذنبك فمن
يديك هول المطلع فقال ما انا بسائل حتى يؤوب القارضان فلم ازل معه حتى طلع
الصباح فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك فقال ارجو
ذلك ان شاء الله ببركة طلعتك فذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول شعر
يا للرجال ليوم الاربعاء اما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا * ما ان يزال غزال منه
يقلقني * يأتي الى مسجد الاحزاب منتقبا * يخبر الناس ان الاجر همته * وما اتى
طالبا للاجر محتسبا * لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا *
ثم جلسنا حتى صلينا الظهر فاذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن فوقفن عليه
وقلن له يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة بالك قال وما بالها قلن اخذها ابوها
وارتحل بها الى ارض السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف
السلمي فرفع عتبة اليمن راسه وقال شعر خليلي ريا قد اجد بكورها * وسارت
الى ارض السماوة عيرها * خليلي اني قد غشيت من البكا * فهل عند غيري مقلة
استعيرها * فقلت له اني قد وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه امامك
حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على
ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملأ ما تقولون في عتبة وابيه قالوا من سادات
العرب قلت فانه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم الا المساعدة الى السماوة فقالوا
سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم
الغطريف بمكاننا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك اضياف
فقال نزلتم اكرم منزل فنادى يا معشر العبيد انزلوا القوم ففرشت الانطاع والنمارق
وذبحت الذبائح فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا

انشأ
بمكان طرفي يا شقيقي
هول المطلع الى ان
انشأ
بمطالبة
١٨٥
غشيت
السير

الذي تخطبونها تخطب عقيلتك الكريمة لعقبة بن الحباب بن المنذر فقال ان التي تخطبونها امرها الى
نفسها وانا ادخل فاخبرها ثم دخل مغضبا على ابنته فقالت يا ابت مالي ارى الغضب
في وجهك فقال قد ورد الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم الرسول
صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لعقبة قالت والله لقد سمعت عن عقبة هذا انه
يمين پ يفي بما وعد ويدرك اذا قصد فقال اقسمت لا ازوجنك اياه ابدا ولقد نمي الي بعض
حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون ردا
لهم قبيحا فاحسن لهم الرد فقال باي شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم قوم يرجعون ولا يجيبون
فقال ما احسن ما قلت فخرج مبادرا اليهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكني اريد لها مهر
اوحيته مثلها فمن القائم به فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شئت فقال الف مثقال من
الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشة من عنبر فقال عبد الله لك ذلك كله
اجل فهل اجبت قال نعم قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة فاتوا بجميع
١٨٦
ما طلب ثم صنعت الوليمة فاقمنا على ذلك اياما ثم قال خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين
ثم حملها في هودج وجهز بثلاثين راحلة من المتاع والتحف فودعناه وسرنا حتى اذا بقي بيننا
وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عقبة
فقتل منهم رجالا وجدل منهم آخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما فسقط الى الارض واتتنا
نجدة فطردت الخيل عنا وقد قضى عقبة نحبه فقلنا واعقبتاه فسمعتنا الجارية فالقت
ب نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت شعر تصبرت لا اني صبرت وانما
اعلل نفسي انها بك لاحقه + فلو انصفت روحي لكانت الى الردى + امامك من
خليلا دون البرية سابقه + فما احد بعدي وبعدك منصف + خليل ولا نفس لنفس موافقه
ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت الى المدينة فاقمت
سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لآتين قبر عقبة
ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر فقلت لارباب
المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين ولو لم يكن في العشق من الرخصة

المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من الاسانيد وهو حديث سويد بن سعيد
بن علی بن مسهر عن ابی یحیی القتات عن مجاهد عن ابن عباس یرفعه من عشق
وعف وکتم فمات فهو شهید ورواه سوید ایضا عن ابن مسهر عن هشام بن عروة عن ابیه عن
عائشة مرفوعا ورواه الخطیب عن الازهری فی الامالی عن المعافا بن زکریا عن قطبة بن الفضل
الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبیر بن بکار عن عبد العزیز الماجشون
عن عبد العزیز بن ابی حازم عن ابن ابی نجیح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سید
الاولین والآخرین ورسول رب العالمین صلی الله علیه وسلم نظر الی زینب بنت
جحش رضی الله عنها فقال سبحان مقلب القلوب وکانت تحت زید بن حارثة
مولاه فلما هم بطلاقها قال له اتق الله وامسک علیک زوجک فلما طلقها زوجها الله سبحانه
من رسوله صلی الله علیه وسلم من فوق سبع سموات فکان هو ولیها وولی تزویجها
١٨٧ من رسول الله صلی الله علیه وسلم وعقد عقد نکاحها فوق عرشه وانزل علی رسوله
صلی الله علیه وسلم واذ تقول للذی انعم الله علیه وانعمت علیه امسک علیک
زوجک واتق الله وتخفی فی نفسک ما الله مبدیه وتخشی الناس والله احق ان
تخشاه وهذا داؤد نبی الله علیه السلام لما کان تحته تسعة وتسعین امرأة ثم احب
تلک المرأة وتزوجها واکمل بها المائة قال الزهری اول حب کان فی الاسلام
حب النبی صلی الله علیه وسلم لعائشة رضی الله عنها وکان مسروق یسمیها
انیس جبیبة رسول رب العالمین صلی الله علیه وسلم وقال ابو القیس مولی عبد الله
ابن عمرو ارسلنی عبد الله بن عمرو الی ام سلمة اسألها اکان رسول الله صلی الله
علیه وسلم یقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة رضی الله عنها قالت ان النبی صلی الله علیه وسلم کان
یقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة رضی الله عنها ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اذا رای عائشة لم یتمالک
نفسه عنها وذکر سعید بن ابراهیم عن عامر بن سعید عن ابیه قال کان ابراهیم خلیل الله یزوره جبرئیل فی کل
یوم من الشام علی البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها وذکر الخرائطی ان عبد الله بن
عمر رضی الله عنهما اشتری جاریة رومیة فکان یحبها حبا شدیدا فوقعت ذات

يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ويقبلها وكانت اكثر من ان تقول له يا بطرون انت قالون تعني يا مولاي انت جيد ثم انها نفرت منه فوجد عليها وجدا شديدا فقال ✽ قد كنت احسبني قالون فانصرفت فاليوم اعلم اني غير قالون ✽ قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين كثير وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا امير المؤمنين رأيت امرأة فعشقتها فقال ذلك ما لا يملك فالجواب وبالله التوفيق ان الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التبيين بين الواقع و الجائز والنافع والضار ولا يستحل عليه بالذم والانكار ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر متعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام اعلم ان انفع المحبة على الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلة القلوب على محبته وفطرت الخليقة على تأليهه وبها قامت الارض والسموات وعليها فطر المخلوقات وهي سر شهادة ان لا اله الا الله فان الاله هو الذي تأله القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا تصح الا له وحده والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك في هذه العبودية من اظلم الظلم الذي لا يغفره الله والله سبحانه يحب لذاته من سائر الوجوه وما سواه فانما يحب تبعا لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة ودعوة جميع رسله صلى الله عليهم وسلم اجمعين وفطر التي فطر عليها عباده وما ركب فيها من العقول وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب مفطورة مجبولة على محبة من انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله الآية وما تعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العليا وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله وعظمته والمحبة لها داعيان الجلال والجمال والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه سواه قال الله تعالى

يستحل

١٨٨

مخلقه

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاية والولاية اصلها الحب فلا موالاة
الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ولي الذين آمنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه
بمحبتهم وهو يواليهم بمحبته لهم فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له ولهذا انكر سبحانه على من اتخذ
من دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم من
تمام موالاته وقد انكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من فعل ذلك
فقد اتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واخبر
عمن سوى بينه وبين الانداد في المحبة انهم يقولون في النار لمعبوديهم تالله ان كنا لفي
ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وبهذا التوحيد في المحبة ارسل الله سبحانه جميع
رسله صلى الله عليهم وسلم وانزل جميع كتبه واطبقت عليه دعوة جميع الرسل عليهم الصلوة
والسلام من اولهم الى آخرهم ولاجله خلقت السموات والارض والجنة والنار فجعل
الجنة لاهله والنار للمشركين به فيه وقد اقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يؤمن عبد
حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب
جل جلاله وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حتى اكون احب اليك من نفسك
اي لا تؤمن حتى تصل محبتك لي الى هذه الغاية فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بنا
من انفسنا بالمحبة ولوازمها افليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه
وتعالى جده ولا اله غيره اولى بمحبته وعبادته من انفسهم وكل ما منه الى عبده المؤمن يدعوه
الى محبته مما يحب العبد ويكرهه فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله
وفضله واماتته واحياؤه ولطفه وبره ورحمته واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على
عبده واجابته لدعائه وكشف كربه واغاثة لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه
التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع للقلوب الى تألهه ومحبته بل تمكينه عبده من
معصيته واعانته عليها وستره حتى يقضي وطره منها وكلاءته وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته وهو يعينه ويستعين
عليها بنعمه من اقوى الدواعي الى محبته فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنى شيء من

ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن اليه
على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فخيره اليك نازل وشره اليه صاعد يتحبب
اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد متبغض اليه بالمعاصي وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه بنعمه
عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد ولومه يقطع احسان ربه عنه فلما ذا تخلف القلوب فالام اللوم
عن محبة من هذا شانه وتعلقها بمحبة سواه وايضا فكل من تحبه من الخلق او يحبك انما يريدك
لنفسه وغرضه منك والرب سبحانه وتعالى يريدك لك كما في الاثر الالهي عبدي
كل يريدك لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحيي العبد ان يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشتغل بحب غيره وقد
استغرق قلبه محبة ما سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق ان لم يربح عليك لم يعاملك ولا بد له من
نوع من انواع الربح والرب تعالى انما يعاملك لتربح انت عليه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشر
امثاله الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع شئ محوا
وايضا فهو سبحانه خلقك لنفسه وكل شئ خلق لك في الدنيا والآخرة فمن اولى منه
باستفراغ الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق ١٩٠
كلهم جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين ويعطي عبده قبل ان يسأله فوق
ما يؤمله يشكر على القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ويسأله من في
السموات والارض كل يوم هو في شان لا يشغله سمع عن سمع ولا يغلطه كثرة المسائل
ولا يتبرم بالحاح الملحين بل يحب الملحين في الدعاء ويحب ان يسئل ويغضب اذا لم يسئل فيستحيي
من عبده حيث لا يستحيي العبد منه ويستره حيث لا يستر لنفسه ويرحمه حيث لا يرحم
نفسه دعاه بنعمه واحسانه واياديه الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله صلى الله عليهم نادعاه
وسلم في طلبه وبعث معهم اليه عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
ادعوك للوصل فتابى ابعث رسلي في الطلب انزل اليك بنفسي
القاك في النوم وكيف لا تحب وكيف لا تحب القلوب من لا ياتي بالحسنات
الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر
الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات وينيل الطلبات

سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من حمد واحق من عبد وانصر من ابتغى وارأف
من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى وارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجى اليه
واكفى من توكل عليه ارحم بالعبد من الوالدة بولدها واشد فرحا بتوبة عبده التائبين من بعبده
الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذا يئس من الحيوة فوجدها
وهو الملك فلا شريك له والفرد فلا ند له كل شئ هالك الا وجهه لن يطاع الا باذنه ولن
يعصى الا بعلمه يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته اطيع ويعصى فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو
اقرب شهيد وادنى حفيظ واوفى وفى بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس
واخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب عنده
لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف وعنت الوجوه لنور وجهه وعجزت القلوب عن ادراك كنهه العقول
ودلت الفطرة والادلة كلها على امتناع مثله وشبهه اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت
له الارض والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفظ ١٩١
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ٭ ما اعتاض باذل حبه
لسواه من ٭ عوض ولو ملك الوجود باسره ٭ ٭

فصل

وههنا امر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح
ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه وجماله وانه اولى
بايثار المحبة من كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وايثار قربه المحب
والوصول اليه على كل شئ وكل عاقل يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته فكلما كانت المحبة حصول اللذة بحصول المحبوب
اقوى كانت لذة المحب اكمل فلذة من اشتد ظماه بادراك الماء الزلال ومن اشتد
جوعه باكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته فاذا
عرفت هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب في نفسه بل هو مقصود كل حي
وعاقل واذا كانت اللذة مطلوبة في نفسها فهي تذم اذا اعقبت الم اعظم منها او منعت لنفسها

لذة غير اسنها واجل فكيف اذا اعقبت اعظم الحسرات وفوتت اعظم اللذات والمسرات
وتحمد اذا اعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه ما وهي لذة
الآخرة ونعيمها وطيب العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة
خير وابقى وقال السحرة لفرعون لما آمنوا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا الآية والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليبتليهم ونيل من اطاعه هذه اللذة
الدائمة في دار الخلد اما الدنيا فمنقطعة لذاتها لا تصفو ابدا ولا تدوم بخلاف الآخرة فان
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين مع الخلود
ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بل فيها ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي
دار القرار فاخبرهم ان الدنيا متاع يستمتع بها الى غيرها وان الآخرة هي المستقر ١٩٢ وسيلة
واذا عرفت ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات الآخرة ولذلك
خلقت الدنيا ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الآخرة واوصلت اليها لم يذم تناولها بل يحمد بحسب
ايصالها الى لذة الآخرة اذا عرف هذا فاعظم نعيم الآخرة ولذاتها النظر الى وجه الله
جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية فوالله ما اعطاهم شيئا
احب اليهم من النظر اليه وفي حديث آخر انه اذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم
وفي النسائي ومسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه واسألك اللهم لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى
لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله بن الامام احمد مرفوعا كان الناس يوم القيامة لم يسمعوا
القرآن من الرحمن اذا سمعوه من الرحمن فكانهم لم يسمعوه قبل ذلك فاذا عرف هذا فاعظم
الاسباب التي تحصل هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق وهو لذة معرفته
سبحانه ولذة محبته فان ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية
اليه كتفلة في بحر فان الروح والقلب والبدن انما خلق لذلك فاطيب ما في الدنيا

معرفته سبحانه ومحبته والثاني في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة
الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها من اللذة القاطعة عن ذلك تتقلب نـ بل لذات الدنيا المحبة
آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحيوة الطيبة الا بالله وكان
بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل الجنة في نعيم مثل هذا انهم لفي عيش
طيب وكان غيره يقول لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب يقول في حاله
شعر وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ÷ فلا خير فيمن لا يحب ويعشق ÷ ويقول
الآخر شعر اف للدنيا متى ما لم يكن ÷ صاحب الدنيا محب او حبيب ÷ ويقول الآخر شعر ولا
خير في الدنيا ولا في نعيمها ÷ وانت وحيد مفرد غير عاشق ÷ ويقول الآخر شعر اسكن الى سكن تسر به ÷ ذهب الزمان وانت
منفرد ÷ ويقول الآخر شعر تشكى المحبون الصبابة ليتني ÷ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي فكانت لقلبي
لذة الحب كلها ÷ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ÷ فكيف بالمحبة التي هي حيوة القلوب
١٩٣ وغذاء الارواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حيوة الا بها واذا فقدها القلب كان
المه اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقدت سمعها والانف اذا
فقد شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلا من محبة فاطره وبارئه
والهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلا منه الروح وهذا الامر لا يصدق به الا من
فيه حيوة وما لجرح بميت ايلام والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو السبب نسخة في قلبه هو
الموصل الى اعظم لذة في الآخرة ولذات الدنيا ثلثة انواع فاعظمها واكملها ما
اوصل الى لذة الآخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان
المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من اكله وشربه ولبسه ونكاحه وشفاء
غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته بالله ومحبته له وشوقه الى لقائه
وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم النوع الثاني لذة تمنع لذة الآخرة وتعقب
آلاما اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا
يحبونهم كحب الله ويستمتع بعضهم ببعض كما يقولون في الآخرة اذا لقوا ربهم

ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا الآية ولذة اصحاب الفواحش
والظلم والبغي في الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذة في الحقيقة انما هي استدراج من الله
لهم ليذيقهم بها اعظم الآلام ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما
يستدرجه الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الآية قال بعض السلف
في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون الآية وقال تعالى لاصحاب هذه اللذة ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الآية وهذه اللذة تنقلب آلاما من اعظم الآلام كما قيل ع
يا رب كائنة في الحيوة لاهلها * عذبا فصارت في المعاد عذابا * النوع الثالث لذة
لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا يمنع وصول لذة دار القرار وان منعت كمالها
وهذه اللذة المباحة التي لا يستعان بها على لذة الآخرة فهذه زمانها يسير ليس لتمتع
النفس بها قدر ولا بد ان يشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا القسم هو الذي عناه النبي ١٩٤
صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه
وملاعبته امرأته فانهن من الحق فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل *

فصل

فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو احمد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما نعني بالمحبة الخاصة وهي التي تشغل قلب المحب وفكره وذكره لمحبوبه والا
فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل الاسلام الا بها والناس
متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين صلى الله
عليهما وسلم ومحبة غيرهما ما بينهما فهذه المحبة هي التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسخي
البخيل وتشجع الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس وتطيب الحيوة على الحقيقة لا تسخي
محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم اللقاء كانت سريرة صاحبها من خير سرائر العباد كما قيل ع سيبقى لكم
في مضمر القلب والحشا * سريرة حب يوم تبلى السرائر * وهذه المحبة هي التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب

الى قوله [illegible] ١٢
الى قوله ان كيدي متين ١٢
الى قوله والحمد لله رب العالمين ١٢

وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة حب الله واذا اردت ان تعلم ما عندك وعند
غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ
اصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه
وحديثه احب شيء اليه كما قيل ۔ انك تزعم حبي فلم هجرت كتابي * اما تاملت ما فيه من
لذيذ خطابي * وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من
كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوما لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي فقال اقرأ عليك وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح فقرأ سورة النساء حتى اذا بلغ قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فرفع
رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء وكان الصحابة
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى اقرأ علينا فيقرأ وهم يستمعون فلمحبي القرآن
195 من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا
رأيت الرجل ذوقه وشدة وجده وطربه وشوقه بسماعة الابيات دون سماع الآيات
وفي سماع الالحان دون سماع القرآن وهو كما قيل ۔ تقرأ عليك الختمة وانت جامد
كالحجر * وبيت من الشعر ينشد فتميل كالنشوان * فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه
من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة
الله وكلامه ورسوله صلى الله عليه وسلم اضعاف اضعاف ما ذكره السائل من فوائد العشق ومنافعه بل
لا حب على الحقيقة انفع منه وكل حب سوى ذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق الى الحب *

فصل

واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد من الله سبحانه بها على عباده
فقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
الآية فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن اليها قلبه وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى عقيب ذكره ما احل لنا من النساء وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم

ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم الى قوله خلق الانسان ضعيفا وذكر
سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاوس عن ابيه كان اذا نظر الى النساء لم يصبر عنهن وفي قلق
الصحيح من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى امرأة فاتى زينب فقضى
حاجته منها وقال ان المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته
فليأت اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد منها الارشاد الى
التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مكان الطعام والثوب مقام الثوب منها
الامر بمداوات الاعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بانفع الادوية وهو قضاء وطره من اهله
وذلك ينقص شهوته بها وهذا كما ارشد المتحابين الى النكاح كما في سنن ابن ماجة مرفوعا لما
لم ير للمتحابين مثل النكاح ونكاحه لمعشوقته هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا
وقد راوى به تداوى نبي الله داؤد صلى الله عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج
المرأة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا
واما قصة زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير ١٩٦
رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراقها وهو يأمره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولابد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى
يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها منه ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب يا زينب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربي وقامت الى محرابها
فصلت فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح
له من فوق عرشه وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها فكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وتقول انتن زوجكن اهاليكن وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سموات فهذه

قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم حبب
اليه النساء كما في الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم قال حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة هذا لفظ الحديث لا ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم
ثلث زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن
وقد حسده اعداء الله اليهود على ذلك وقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
الآية وهذا خليل الله امام الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر
وتسرى بها وهذا داؤد عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امرأة فاحب تلك المرأة
وتزوجها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه عليه السلام كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الناس اليه فقال عائشة رضي الله
عنها وقال عن خديجة اني رزقت حبها فمحبة النساء من كمال الانسان قال ابن عباس
١٩٧ خير هذه الامة اكثرهم نساء وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمر وقع في سهمه يوم جلولاء جارية
كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت عنها ان قبلتها والناس ينظرون الى

وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع بالمسبية قبل الاستبراء بغير الوطي بخلاف الامة
المشتركة والفرق بينهما انه لا يتوهم انفساخ الملك في المسبية بخلاف المشتركة فقد ينفسخ
فيها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي صلى الله عليه وسلم لعاشق ان
يواصله معشوقه بان تزوج به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه
تجري على خديه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فقالت اتامرني
قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث
بريرة ومن بغضها له ولم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا ما لا يملكه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يساوي بين نسائه بالقسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني
فيما لا املك يعني الحب وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
يعني في الحب والجماع فلا تميلوا كل الميل ولم يزل الخلفاء الراشدين الرحماء من الناس يشفقون العشاق

الى معشوقهم الجائر وصلتين كما تقدم من فعل ابى بكر وعثمان وكذلك على اتى بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل فقال له ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصدقك ٥

تعلقت فى دار الرياحى خريدة * يذل لها من حسن منظرها البدر * لها فى بنات الروم حسن ومنظر * اذا افتخرت بالحسن عانقها الفخر * فلما طرقت الدار من حب مهجتى * ابيت

وفيها من يوقد بالجمر * تبادر اهل الدار بى ثم صيحوا * هو اللص محتوم له القتل والاسر

فلما سمع على بن ابى طالب رضى الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النهاس بن عيينة فقال خذها فهى لك

واشترى معاوية جارية فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها ٥

وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى * طريرا وسيما بعدما طر شاربه * فسألها فاخبرته انها تحب سيدها فردها اليه وفى قلبه منها وذكر الزمخشرى فى ربيعه ان زبيدة قرأت فى

طريق مكة على حائط ٥ اما فى عباد الله او فى امائه * كريم تسلى الهم عن ذاهل العقل

له مقلة اما المآقى قريحة * واما الحشا فالنار منه على رجل * فنذرت ان تحتال

لقائلها ان عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه فبينما هى فى المزدلفة اذ سمعت من

ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قالها فى ابنة عم له نذر اهلها ان لا يزوجها منه فوجهت

الى الحى وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه واذا المرأة اعشق منه لها فكانت

تعده من اعظم حسناتها فتقول ما انا بشئ اسرني من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة

وقال الحرالطى وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام

لها يوما ٥ ولقد رأيتك فى المنام كانما * اسقيتني من ماء ريقك البارد * وكان

كفك فى يدى وكاننا * بتنا جميعا فى فراش واحد * فطفقت نومى كله متراقدا *

لاراك فى نومى ولست براقد * فاجابته الجارية ٥ خيرا رأيت وكلما ابصرته *

ستناله منى برغم الحاسد * انى لارجو ان تكون معانقى * وتبيت منى فوق

ثديى ناهد * واراك بين خلاخلى ودمالجى * واراك فوق ترائبى ومجاسدى *

فبلغ ذلك سليمان فانكحها الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع

وصله

خودة من منصب خافقها

القتل شعره

تجل فى ذاهب

١٩٨

بها ما سقيتني ريق

فتكدن

ابن مرجانة سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل من حب دريهمات من وزر فقال سعيد انما تلام على ما تستطيع من الامر فقال سعيد والله ما سألني احد عن هذا ولو سألني ما كنت اجيب الا به فعشق النساء ثلثة اقسام عشق هو قربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته وهذا العشق نافع فانه ادعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح اكف البصر والقلب عن التطلع الى غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت عند الله وبعد من رحمته وهو اضر شئ على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلى به الا من سقط من عين الله وطرد عن بابه وابعد قلبه عنه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت وما اتوا الا من هذا العشق قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ودواء هذا الداء الردي الاستعانة بمقلب القلوب وصدق اللجأ اليه والاشتغال بذكره والتعوض بحبه وقربه والتفكر بالالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي تفوته به فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فاذا اقدمت نفسه على هذا وآثرته فليكبر على نفسه تكبير الجنازة وليعلم ان البلاء قد احاط به والقسم الثالث من العشق العشق المباح الذي لا يملك كعشق من صورت له امرأة جميلة او رآها فجاءة من غير قصد فاورثته ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له منه والواجب على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وايثار مرضات الله وما عنده

فصل

والعشاق ثلثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع بوصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من طمع بوصاله وبين هذه الانواع الثلثة تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق يهيم قلبه في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد

فيوما بحزوى ويوما بالعقيق * وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء *
وتارة ينتحي نجدا واونة شعب العقيق وطورا قصر تيماء

فهذا عشقه اوسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل

يهيم بهذا ثم يعشق غيره * ويسلاهم من فوره حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه وادوم محبة له ومحبته اقوى من محبة

مرجانة في | اجيبه | فما اتوا بالفوا | اقسام العشاق | ينتحي نجدا | واسع

الاول الاجتماع الثاني احد و التقسيم الاولى و لكن يضعفها عدم الطمع في الوصال و عاشق الجمال الذي يطمع في وصاله اعقل العشاق و اعرفهم و حبه اقوى لان الطمع يمده و يقويه *

فصل

واما حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد فهذا ممن يرويه سويد بن سعيد وقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر على سويد وكذلك ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج بن الجوزي وعده من الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب منه قلت والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه فغلط سويد في رفعه قال ابو محمد ابن خلف بن المرزبان حدثنا ابو بكر الازرق عن سويد فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعد ذلك يسأل عنه ولا يرفعه ولا يشبه هذا كلام النبوة ولما رواه الخطيب له عن الازهري ثنا المعافا بن زكريا ثنا قطبة بن الفضل ثنا احمد بن محمد بن مسروق ثنا سويد ثنا ابن مسهر هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا من ابين الخطا ولا يحمل هذا عن هشام عن ابيه عن عائشة مثل هذا عنه من شم ادنى رائحة من العلم من الحديث ونحن نشهد بالله انه ما كلمت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا حدثت عنها عروة ولا حدث به عنه هشام قط واما حديث ابن الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب على ابن الماجشون فانه لم يحدث بهذا ولم يحدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من تركيب بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد مثل هذا المتن فقبح الله الواضعين وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزي من حديث محمد بن جعفر بن سهل ثنا يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي ووفاته سنة سبع وعشرين وثلث مائة فمحال ان يدرك شيخه يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج في كتاب الضعفاء وكلام حفاظ الاسلام في انكار هذا الحديث هو الميزان واليهم يرجع في

أنه عليه هذا الشأن ولا صحيح بل ولا حسن احد يعول في علم الحديث اليه ويرجع في التصحيح اليه
يتصف ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم يطب نفساً له ويكفي ان ابن طاهر الذي يتساهل
شهد في احاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة قد انكره وحكم ببطلانه
نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقاً
كالفرخ فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ورفع اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال
ما شأنه فقال العشق فجعل عامة يومه يستعيذ من العشق فهذا نفس من قال من عشق
وعف وكتم ومات فهو شهيد ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهداء في
الحرق الغرق الصحيح فذكر المقتول في الجهاد والمبطون والحريق والنفساء يقتلها ولدها والغريق وصاحب
ذات الجنب الهدم فلم يذكر منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس
رضي الله عنهما على انه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته على
هذا من معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه ولكن احق من دخل تحت قوله تعالى واما من
٢٠١ خاف ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتحت قوله تعالى
ولمن جنتان فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعلنا ممن آثر
حبه ورضاه على هواه ذلك قربه ورضاه آمين يارب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

صورة ما ارخه العلامة الفهقام مولانا الحاج الحافظ الحكيم محمد عبد السلام

حفظه الله من شرور الليالي والايام

كتاب اسبغ رشداً علياً ... فلم اغو من الشيطان غيا
شربت من رحيق الحق كاساً ... فلم اسعى بامر الله عيا
وفضل راح منا سل عاد ... من اثمار اذا اطلعت ثريا
كفى الناس اسله اعتقادا ... ليوم غيثوا الاوجاه شيا
وليستشفى به كل عليل
ويروى عطش الجنات ريا
۱۳ھ

ایضاً

نباہی نحن بالکافی کتابا ... عسی ان یشفع عبداً وحراً
وان یبقی علی صفحات دہر ... فلن یعنی اذن ولن یبرا
واجبہ بطیب کل نفس ... ویاتی تاجہ لئن یحرا

وفاق الکوکب الدری ضوءا
وضاہی زاہینا دراً ودرا

۱۳

ایضاً لمجمع الکمالات الصوری والمعنوی المولوی ابی الخیر محمد ضمیر الحق الآروی سلمہ ربہ اللہ القوی

قد انطبع الکتاب المستطاب ... فسروا ایہا الخلان سرّا
نتوب من خطایانا جمیعاً ... وان کان لنا باللہ مرا
... فی کل حال ... لیحفظنا من ...

فلما استتب الطبع قلت
کتاب شاع فی الآفاق طرا

۱۳

ایضاً از نتائج طبع سامی جناب مولوی محمد عبد ال... صاحب بانگرموی ثم التاالگرامی سلمہ ربہ

کتاب نادر حسن و خوبی بزیور طبع شد محلا ... دوای شافی علاج کامل آمد ز یزدانی عمر
عزیز از بہر سال طبعش بگفتم سن قرن زد ... جواب صادق عجیب و عجب پسند ہر صاحب فتح

۱۳

تمت